إن الناظر في القرآن الكريم والسنة النبوية، يجد أنهما يقدمان عالم النفس بأجلى صوره وأدق معالمه وعموم حكمته بما يشير إلى منهج التربية الإسلامية التي تحرص على بناء النفس البشرية على كيفية تجعلها ترقى بالعلم والفهم والتسليم بحكمة الله سبحانه وتعالى في كل الأمور، بحيث ينعكس أثر ذلك على سلوك الفرد المسلم في واقع حياته ويجعله يعيش في أمن وطمأنينة وراحة بال.

وسوف نحاول في هذا المبحث التعرف على بعض الجوانب النفسية للمرأة التي ينبغي على التربية أخذها بعين الاعتبار في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة وذلك من خلال الحديث عن:

١- حقيقة الاختلاف بين النوعين (الذكر والأنثى).

٢- دور التربية في توجيه المرأة عبر مراحل نموها المختلفة.

٣- صفات نفسية اختصت بها المرأة.

٤- دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يساعدها على التمتع بالصحة النفسية.

٥- بعض القضايا التي تهم المرأة المسلمة المعاصرة.

أولا: حقيقة الاختلاف بين النوعين: الذكر والأنثى:

خلق الله الناس من بني الإنسان متفاوتي القدرات والمواهب، وهذا الاختلاف والتنوع هو الذي يكفل تحقيق مطالب المجتمع ومسيرة الحياة. ونجد أن هذا الاختلاف فيما يتعلق بالرجل والمرأة هو أكثر عمقا ووضوحا.

وفيما يلي سوف نتناول أهم جوانب الاختلاف والفروق التي أشارت إليها الدراسات الطبية والنفسية والاجتماعية وذلك من خلال تقسيمها إلى ثلاثة أقسام[1]:

١- فروق جسمية. ٢- فروق عقلية. ٣- فروق وجدانية.

(١) هذا التقسيم واستنتاج الفروق هو خلاصة النظر في المراجع التالية: الهيلة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٤-٥، ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٥٩، ص٢٤٩- ٢٥٠ بتي فريدان،١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م، ص ١٨٤ - زكريا إبراهيم، د.ت، ص ٢٥- Rahman, 1986, pp. 189-191, p.204,.

١ - الفروق الجسمية بين النوعين:

يؤكد العلماء أن جميع الفروق بين النوعين من الناحية الجسمية تنتج عن الاختلاف في الوحدة الأساسية لتكوين الجسم وهي الخلية وفي ذلك يقول الكساس كاريل:

" إن الأمور التي تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد في الأشكال الخاصة بأعضائهما الجنسية والرحم والحمل، وهي لا تتحدد أيضا في اختلاف طرق تعليمهما، بل إن هذه الفوارق هي ذات طبيعة أساسية، من اختلاف نوع الأنسجة في جسم كليهما، كما أن (المرأة) تختلف عن (المرء) كليا، في المادة الكيماوية التي تفرز من مبيض الرحم داخل جسمها، والذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف بالرجل يجهلون هذه الفوارق الأساسية، فيدعون أنه لابد أن يكون لهما نوع واحد من التعليم والمسئوليات والوظائف. ولكن المرأة في الواقع تختلف عن الرجل كل الاختلاف؛ فكل خلية من جسمها تحمل طابعا أنثويا، وهكذا تكون أعضاؤها المختلفة، بل وأكثر من ذلك هذه هي حال نظامها العصبي " (كاريل،١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ص ٩٣).

وقد توصل العلماء إلى كثير من الفروق بين النوعين نشير إلى أهمها فيما يلي:

من حيث الشكل: بنية المرأة أدق من بنية الرجل، وجسمها مزود بأجزاء تساعدها على الحمل والرضاعة، وهناك فروق ظاهرة تبرز في شكل الأعضاء التناسلية، و**من حيث الوزن**: يزيد الذكور على الإناث عند الولادة بنحو ٥٠٪، ويظل هذا الفارق واضحا حتى سن الحادية عشرة، حيث ينقص ليصبح الذكور في حوالي الرابعة عشرة أقل وزنا من الإناث بنحو ١٥٪، ثم يستعيد الذكور وزنهم عند الخامسة عشرة أو السادسة عشرة. وفي العشرين يتفوق وزن الذكور على الإناث بنحو ٢٠٪، و**من حيث الطول**: الذكور أطول من الإناث منذ الولادة وحتى سن الحادية عشرة بنحو ٢٪، وفيما بين الحادية عشرة والرابعة عشرة؛ ينعكس الأمر لتصبح البنات أطول حتى حوالي السابعة عشرة حيث يأخذ طول الذكور في الازدياد، ويستمر حتى حوالي العشرين، حيث يزداد نمو الذكور بنحو ١٠٪، و**من حيث حجم المخ**: متوسط حجم مخ الرجال أكبر قليلا من متوسط حجم مخ الإناث، كذلك فإن الجزء المتعلق بالعاطفة لدى الإناث أكبر، في حين أن الجزء المتعلق بالتفكير أكبر لدى الذكور، و**من حيث الطاقة الحيوية**: **فهي** لدى الذكور أشد وأقوى وذلك على النحو التالي:

- في السادسة بنحو ٧٪. - في العاشرة من ١٠-١٢٪.

- في العشرين بنحو ٣٥٪.

ومن حيث قوة العضلات: يتفوق الذكور على الإناث في مختلف مراحل العمر، فمثلا قوة ضغط اليد اليمني عند الولد أقوى من البنت بنسبة ١٠٪ في سن السابعة، وتنمو عندهما تدريجيا إلى أن تتوقف عند البنت في السادسة عشرة، بينما تستمر عند الولد حتى التاسعة عشرة، ويبلغ معدل التفوق ما بين ٥٠-٦٠٪. ومثل ذلك يلاحظ في عضلات الظهر والأرجل. و**من حيث البلـــوغ**: ترجع كثير من الفوارق الجسمية مباشرة إلى عامل النضج والبلوغ. وغالبا ما تبلغ الإناث قبل الذكور بحوالي سنة مما ينتج عنه تطورات سريعة لديهن. وتتعرض الفتيات في فترة البلوغ إلى مجهودات عصبية قد تجعلهن أقل قابلية للعمل، ويمكن أن تحد بعض الشيء من انتباههن العقلي، وهناك **فروق أخرى من أبرزها**:

- صوت المرأة أكثر لطفا ونعومة من الرجل.
- مقاومة المرأة لغالبية الأمراض أكثر من مقاومة الرجل.
- المرأة أسرع من الرجل في العجز عن الإنجاب.
- أعصاب المرأة أقل قوة من الرجل.
- قدرة المرأة على تحمل الألم أكبر من الرجل.
- عمر المرأة أكبر من عمر الرجل بحسب الإحصاءات الحديثة.
- عدد الكريات الحمراء لديها أقل.
- قدرتها على التنفس أضعف.

٢- الفروق العقلية بين النوعين:

تشير الدراسات إلى أن المرأة ليست أقل ذكاء من الرجل، لكن ذلك لا ينفي وجود فروق عقلية أخرى لا تظهر في العمليات العقلية المعقدة، وإنما تظهر في العمليات العقلية البسيطة؛ من بينها أن البنين يدركون الأفكار والآراء قبل إدراك الأشخاص الذين تصدر عنهم تلك الأفكار، في حين تنصرف عناية البنات إلى الأشخاص بالدرجة الأولى.

ولذلك نجد اهتمام الإناث ينصب على الأشكال الظاهرة بصورة مباشرة، في حين ينصرف اهتمام الذكور إلى ما هو أبعد وأكثر عمقا.

ويؤكد كثير من العلماء وجود فروق كبيرة في النمو اللغوي بين الذكور والإناث، فالإناث يتفوقن في الثالثة ثم يلحق بهن الصبيان فيما بين الثالثة والحادية عشرة، حيث تستعيد الإناث تفوقهن. وقد أكدت نتائج إحدى الدراسات تفوق الإناث من أفرد العينة على الذكور مدى الحياة.

كما أوضحت دراسة أجريت حديثا؛ أن الفروق اللغوية بين الذكور والإناث ترجع إلى أن هناك فوارق متميزة في التعامل مع الأمور اللغوية من قبل دماغ كل منهما؛ فالرجل يستخدم الجانب الأيسر فقط من الدماغ للتعامل مع المسائل اللغوية، في حين تستخدم النساء الجانبين، لذلك فهن أكثر إتقانا في الأداء. (مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٧٦، ص ٣٣).

كما أظهرت الملاحظات على جميع الأطفال العاديين والموهوبين وضعاف العقول؛ أن الإناث يبدأن في الكلام قبل الذكور، وأنه في جميع المراحل العمرية، تكون نسبة الإصابة باضطرابات الكلام أو التأخر في القراءة أقل عند البنات.

وقد وجد أنه في مرحلة المراهقة؛ تظهر الإناث تفوقا على الذكور في اختبارات المهارة اليدوية والرشاقة، في حين يتفوق الذكور في القدرة الميكانيكية.

٣ - الفروق الوجدانية بين النوعين:

يعد ضبط هذه الفروق أكثر صعوبة من تحديد الفروق الجسمية والعقلية. وما توصل إليه الدارسون هنا، يتعلق بما أمكن ملاحظته من ظواهر قد تبطلها المقارنات ونتائج الاستقصاء.

ومن أهم الفوارق الوجدانية التي لاحظها العلماء[1]:

- المرأة أكثر انفعالا وأكثر هيجانا من الرجل.
- المرأة أقل ثباتا من الناحية العاطفية.

(١) انظر في ذلك: عاقل، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م، ص١٢٥ - مطهري، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦، ص١٩٠ -١٩١، ص٢٠٤.

- المرأة أكثر خوفا من الرجل.

- المرأة أكثر رقة وسريعة التوسل بالبكاء والحيلة أحيانا.

- تميل المرأة بشدة إلى التزين بعكس الرجل.

- المرأة ألسن من الرجل.

- المرأة أكثر قدرة على الصمود أمام متاعب الحياة اليومية من الرجل.

تحجم المرأة عن استخدام العنف ضد الآخرين وضد نفسها؛ ولذلك تنخفض نسبة الانتحار بين النساء.

- إحساسات الرجل مطبوعة بالحاجة، بينما إحساسات المرأة مطبوعة بالإثارة.

الرجل يجد في أعماقه رغبة في اقتحام الأخطار، في حين تحرص المرأة على الابتعاد عنها.

المرأة لا تجد حرجا في طلب المساعدة من الآخرين، في حين يحب الرجل الاعتماد على نفسه ولا يلجأ إلى طلب المساعدة إلا عند الضرورة التي يعجز فيها عن تحمل المسئولية.

عادة ما يتميز الذكور منذ الصغر بالقلق والعناد والإصرار، في حين تستسلم الإناث لتيار الحياة السهلة حتى وهن رضع.

الذكور أكثر ميلا للعدوان، ويظهر ذلك مبكرا جدا. وتشير الدراسات إلى أن الذكور يصرفون من وقتهم في العدوان ضعف الوقت الذي تصرفه البنات فيه.

فينبغي على التربية في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة أن تتخذ من هذه الفروق بين النوعين - والتي أثبتها علماء النفس وعلماء التشريح في العصر الحديث - منطلقا لتأكيد حكمة الخالق سبحانه وتعالى التي اقتضت خلق كل من الذكر والأنثى لمهمة محددة، وكيف أن المنادين بالمساواة بينهما؛ يعمدون إلى مخالفة الفطرة والسنن التي أودعها الخالق في الكون والتي تعود بأسوأ الآثار على الإنسانية كلها بصفة عامة وعلى المرأة بصفة خاصة.

ونجد هناك من يذهب إلى اعتبار أن الاختلافات الفطرية بين النوعين إنما هي دلالة نقص في المرأة وكمال في الرجل، ومن ثم فإنها تستدعي جملة من المكاسب يتمتع بها الرجل

وسلسلة من الحرمان تلحق بالمرأة.

وهؤلاء يغفلون عن أن هذه الاختلافات لم تقم على أساس النقص والكمال؛ فحاشا للقدرة الإلهية المبدعة أن توجد خلقا ناقصا محروما وآخر كاملا يحظى بامتيازات، وإنما هو من باب التنوع الذي يكفل تحقيق مطالب المجتمع ومسيرة الحياة، وهو أشبه ما يكون بالتفاوت بين أعضاء الجسم الواحد، حيث تعمل جميعها من أجل تحقيق أهداف مشتركة. (المطهري، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٥، ص ١٨٤).

ويؤكد ذلك البروفيسور(ريك)؛ الذي قضى عددا من السنوات وهو يدرس أوضاع كل من الرجل والمرأة، واستنتج من خلال دراسته استحالة أن تعمل المرأة، أو أن تفكر مثل الرجل. وهو يقول بأنه رغم ما جاء في التوراة مما ينص على أن الرجل والمرأة قد خلقا من " لحمة واحدة "، لكن مع ذلك فهما يختلفان اختلافا أساسيا من حيث التركيب، ولذلك لا نجد لهما رد فعل متشابها إزاء الأحداث؛ إذ يعملان وفقا لمتطلباتهما النوعية بشكل متفاوت. فهما مكملان لبعضهما، ومن هنا استطاعا العيش معا (المطهري، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٩٣).

ومن ثم فإنه ينبغي على التربية أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية إدراك حقيقة الفروق التي أوجدها الخالق بينها وبين الرجل، وكيف أنها تعد من أبرز عجائب إبداعه سبحانه وتعالى، وتمثل درسا في التوحيد يدل على النظام المحكم الذي يسير عليه الكون.

فهو سبحانه وتعالى قد أوجد جهاز التناسل من أجل بقاء النوع وحفظه؛ وليتحقق ذلك كفل للحياة التعاونية بين الزوجين ما يدعمها من عوامل الجذب التي تدفع كلا منهما إلى استمالة الآخر إليه، لما يجعله مريدا لسعادة الآخر واستقراره ملتذا بالتضحية والإيثار كل في سبيل الآخر (المطهري، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٩٥- ١٩٦).

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم].

ولو نظرنا إلى الحضارة الحديثة التي بهر بها المسلمون، وقارنا بين نظرتها للمرأة ونظرة الإسلام إليها لوجدنا البون شاسعا جدا. فالإسلام ينظر إلى كل من الرجل والمرأة باعتبارهما متكاملين، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ

أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران:١٩٥]، في حين تنظر الحضارة الحديثة إليهما على أن كلا منهما صورة طبق الأصل للآخر. والإسلام يقضي باختلاف دوائر عمل كل من النوعين، في حين ترى الحضارة الحديثة أن مجال عملهما واحد.(خان، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م، ص٢٨).

ونجد أن المجتمعات الغربية قد مارست المساواة بينهما منذ حوالي قرن من الزمان، لكن مع ذلك لم تتمكن المرأة الغربية من أن تحل محل الرجل في كل أعماله [1]. ونجد الدراسات العلمية تثبت أن الفروق بين النوعين ليست نفسية فقط بل وحيوية على نحو حاسم يميز بينهما بما يؤكد أنهما طبقا " لتصميمهما لا يصلحان لعمل واحد". ونجد أنه إلى جانب عدم صلاحية المرأة للقيام بعمل الرجل؛ فقد أدى خروجها للعمل وإهمالها لوظيفتها الأساسية، إلى كثير من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية الخطيرة التي أشرنا إليها سابقا.

ولابد أن تعمل التربية على تثبيت الخصائص الفطرية لدى المرأة وصقلها، وذلك من خلال إتاحة الفرصة لها لتمارس مهامها ومسئولياتها في توازن تام، بعيدا عن الغلو والانحراف سواء من جانب المرأة أو من جانب المجتمع.

ويبلغ التطرف مداه من جانب المرأة؛ حين تعمد إلى التشبه بالرجال، فتطالب بالمساواة معه في كل شيء، وهو ما عليه حال المرأة الغربية اليوم، وحال الغافلات من المسلمات اللاتي أشرنا إليهن سابقا، في حين أن التطرف من قبل المجتمع يحدث من خلال المبالغة في تمييز المرأة عن الرجل، بحيث ينظر إليها على أنها أقل منه إنسانية، ومن ثم تمنع عن ممارسة حقوقها التي كفلها لها الإسلام، مثل حرية الاختيار، وحرية الإرادة وحق المشاركة في الأنشطة الاجتماعية التي تتفق مع الضوابط الشرعية. (أبو شقة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، ج١، ص ٣٠١)، فالمرأة حينما تتجه إلى التشبه بالرجال؛ إنما تنطلق من دوافع الشعور بالنقص والجهل بأسباب التفوق الحقيقية التي تشير إليها الآية الكريمة في قوله

(١) في عام ١٩٧٠م؛ أعلن الدكتور " ادجار برمان" أن المرأة لا تصلح لتولي المناصب القيادية، سواء الإدارية أو السياسية، وذلك بسبب التأثير الهرموني عليها قبل فترة العادة الشهرية. وقد قام الاتحاد الأمريكي للعلاج النفسي بإصدار بيان اعترف فيه بأن المرأة تصاب اضطراب نفسي في تلك الفترة. (باجبير.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦٠٧٨).

تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

ونجد الكساس كاريل، العالم الأمريكى، يدرك هذه الحقيقة حين يشير إلى أن قوانين وظائف الأعضاء محدودة ومنضبطة كقوانين الفلك، حيث لا يملك الإنسان إحداث أدنى تغيير فيهما بمجرد الأمنيات البشرية، ومن ثم وجب التسليم بحقيقة الفروق بين النوعين بحيث تعمل النساء على تنمية قدراتهن ومواهبهن بما يوافق الفطرة التي فطرهن الله عليها بعيدا عن تقليد الرجال."(كاريل،١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ص ١٠٩).

ثانيا: دور التربية في توجيه المرأة عبر مراحل نموها المختلفة:

من الحقائق الواضحة أن المرأة تتعرض لتغيرات كثيرة تطرأ على نموها الجسمى، وتؤثر على نموها النفسى، وذلك عبر مراحل نموها المختلفة. وهذه التغيرات تحتاج من التربية إلى أن تأخذها بعين الاعتبار في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تمدها بالخبرات والمعارف اللازمة التي تساعدها على المحافظة على أمنها النفسي.

وسوف نتناول فيما يلى أهم المراحل التي تمر بها المرأة ونوضح دور التربية المنشود حيالها، وهذه المراحل هي:

١- مرحلة ما قبل البلوغ. ٢- مرحلة البلوغ. ٣- مرحلة الأمومة.

١ - مرحلة ما قبل البلوغ:

مرحلة ما قبل البلوغ ذات أهمية كبرى في حياة المرأة، حيث يشير علماء النفس إلى أنها قد تمر خلالها بأحداث وتجارب تترك أثرها على نفسيتها طوال حياتها. (إبراهيم، د.ت، ص ٦٥).

وفي كثير من البيئات نجد الأهالى يبدءون في إعداد بناتهم للزواج منذ سن مبكرة جدا وذلك من خلال تزويدهن بالخبرات والمهارات اللازمة بحسب البيئة التي يعيشون فيها.

وقد يلجئون في ذلك إلى ممارسات لا إنسانية، مثل " ظاهرة التعليف" التى أشارت إليها إحدى مندوبات موريتانيا في المؤتمر الرابع للمرأة في بكين ضمن ورشة العمل الخاصة بالعنف الممارس ضد المرأة، حيث ذكرت بأنه يتم في موريتانيا إرسال الفتاة التى لم تتجاوز العاشرة من العمر إلى القرية، وهناك يفرض عليها شرب كمية من اللبن مقدارها ٣٠ لترا لتسمن، وذلك بغرض إعدادها للزواج المبكر. ومن تمتنع تضاعف لها الكمية،

وإذا تقيأت كذلك، ففي رأيهم أنها كلما وزنت أكثر؛ كلما كانت (أجمل) " (الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٥٧).

ويشير علماء النفس إلى أن الفتاة في مرحلة ما قبل البلوغ تتميز بصفات عدة من بينها:

أ- الرغبة في العمل:

من أبرز مميزات الفتاة في مرحلة ما قبل البلوغ؛ الميل إلى النشاط، والرغبة في العمل (إبراهيم، د.ت، ص ٧٢)، الأمر الذي ينبغي أن تأخذه التربية بعين الاعتبار في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تبني برامجها بما يضمن تزويدها منذ الصغر بالمهارات اللازمة التي تمكنها من أداء مسئولياتها، والإسهام بقدراتها في تنمية المجتمع وتطويره، في الحاضر والمستقبل [1].

ب- حب الاستطلاع:

في هذه المرحلة من العمر، غالبا ما تبدأ بعض التغيرات في الظهور سواء في الجانب الشكلي أو الوظيفي، الأمر الذي يزيد من رغبة الفتاة في التعرف على وظائف الأعضاء التناسلية وكيفية تكوين الجنين، وأمور الحمل والولادة وغيرها (إبراهيم، د.ت، ص ٦٩)؛ ولذلك نجدها تتابع في لهفة ما يدور وسط الفتيات والنساء (زهران، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م، ص ٢٢٦).

ومن ثم فإنه لابد في تربية الفتاة من مراعاة أهمية إشباع حاجتها إلى المعرفة ورغبتها في الاستطلاع؛ وذلك من خلال تقديم المعلومات التي تحتاجها بصورة مبسطة، حتى لا تلجأ في الحصول عليها إلى مصادر أخرى.

وحيث إننا نعيش في عالم مفتوح، تضطر فيه الفتاة إلى الاختلاط بالذكور بطريق

---

(١) في الجمهورية اليمنية؛ تعتبر القوة الجسدية للعروس بالريف أمرا في غاية الأهمية، تماما مثل صفاتها الأخلاقية؛ لذلك فإن الأهالي يعمدون إلى تدريب الفتيات الصغيرات على حمل الأوزان الثقيلة فوق الرأس منذ سن مبكرة، فنجد المرأة فيما بعد قادرة على أن تحمل فوق رأسها مثلا: برميل نفط، أو تلفاز، أو ثلاجة؛ لتنقلها إلى أعالي الجبال حيث لا توجد الطرق الممهدة لنقلها بواسطة السيارات (تقرير عن التنمية في اليمن، د. ت، ص ١٠). ومن بين المهارات التي تدرب عليها الفتيات منذ الصغر أيضا؛ البدء في تعليمهن حمل أوعية الماء على رءوسهن منذ السادسة، حيث يحتجن إلى السير بها مسافات طويلة وأحيانا الصعود إلى الجبال حيث المنازل. (المرأة وتوفير المياه.. في صحيفة الجمهورية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع٩٥٤٨) .

مباشر، أو غير مباشر، فإن ذلك يفرض على التربية أن تهتم بتقديم المعرفة الجنسية المناسبة التي تمكن الفتاة من التمييز بين الخطأ والصواب، وتجنب المزالق التي قد يجرها إليها شياطين الإنس والجن.

ويمكن التدرج في ذلك منذ الصغر من خلال تقديم بعض المعلومات المتعلقة بالواقع الوظيفي (الفسيولوجي) للكائنات الحية الدنيا، وكيف أن الأجهزة التناسلية تزداد تعقيدا حتى تصل إلى اكتمالها في الفقاريات، ثم تبدأ الدراسة النفسية العامة، ثم الدراسة الاجتماعية. ولابد أن تأخذ التربية بعين الاعتبار؛ الخصائص الوجدانية والعقلية والمعرفية للتلميذات، من أجل تحديد ما يقدم إليهن من معلومات. (عيسوى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٨٩-٩٠) (ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٤٩- ١٥١).

وما من شك في أن التوعية الموجهة التي تقدمها التربية عبر وسائلها المختلفة، خير من ترك الفتيات للمصادفة، أو لوسائل الإعلام التي تحمل الغث والسمين، أو للرفيقات اللواتي قد تكون خبراتهن ناقصة أو مشوهة، أو للجهل الأعمى الذي قد يؤدي إلى إحداث اضطرابات نفسية لدى الفتاة، مما يضر بصحتها النفسية حاضرا ومستقبلا.

ويكفي للدلالة على ذلك الخوف والفزع الذي تصاب به البنات حال البلوغ جراء حدوث العادة الشهرية لديهن قبل أن يتلقين معلومات عنها، سيما وأن كثيرات من الأمهات – حتى من بين المتعلمات- يحجمن عن إمداد بناتهن بالمعلومات اللازمة، ويتركهن للمدرسة أو للرفيقات، وكل ذلك بسبب الخجل أو الحياء المذموم.

كما يكفي لإدراك أهمية هذا الموضوع؛ ما نشاهده عبر الأفلام والمسلسلات التي تقدمها وسائط الثقافة – باعتبارها أحد المصادر التي تتلقى منها الفتاة معلوماتها – والتي لا تقدم معرفة، وإنما تعمل على إثارة عواطف الشباب - ذكورا وإناثا- لأنها تعد لأغراض تجارية وليست علمية.

ج - المسارة:

تبرز الرغبة في المسارة لدى الفتيات بسبب عدم الحصول على الإشباع المرضى لرغبتهن في حب الاستطلاع، خاصة إذا ما قوبلت هذه الرغبة بالغموض والتكتم فيما يتعلق بأمور الجنس من قبل الأمهات، الأمر الذي يلجئ الفتيات، وتحت إلحاح الرغبة لديهن في معرفة ما يخفي عليهن، إلى المسارة فيما بينهن.(ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ/

١٩٨٦م، ص ٦٨، ص ٧٢).

ومن ثم فإنه ينبغى في تربية الفتاة؛ الاهتمام بإمدادها بالمعلومات اللازمة، وفي الوقت نفسه عدم إغفال سلوك المسارة إذا ما ظهر لديها، فتمدها بالتوجيهات الأخلاقية اللازمة، ومن بينها ما جاء عن رسول الله ﷺ في المناجاة حيث قال:" إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه."(مسلم، ج٤، السلام / ١٥، ص ١٧١٨).

د - تقليد الكبار:

يلاحظ على الفتاة في هذه المرحلة العمرية ميلا إلى مجاراة البالغات، سواء كان ذلك في الملابس أو في الزينة أو في السلوك.(إبراهيم، د.ت، ص ٧٢)، وهنا يبرز دور التربية في عدم ترك الفتاة لرغباتها الشخصية غير الواعية قبل اكتمال نضجها الجسمي والنفسي.

هـ - التوحد مع الجنس:

ففى هذه المرحلة من العمر؛ تتضح عملية التنميط الجنسى، بمعنى تبنى الدور الجنسى، حيث تعمد الفتاة إلى التوحد مع جنسها، وتكتسب صفات الأنوثة. ويبدأ ذلك من خلال التوحد مع شخصية الأم، وهى تتضمن اكتساب المعايير السلوكية، والميول والاهتمامات، ونوع الألعاب والنشاط العام. (زهران، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص٢٢٦).

٢ - مرحلة البلوغ:

يمثل الحيض - وهو علامة البلوغ- نتيجة نهائية لنمو عميق في الغدد الصماء يبدأ قبل خمس سنوات من بدء البلوغ (ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٤٤)، وهو تجربة نفسية حاسمة ذات أثر كبير في حياة المرأة، حيث قد ترتبط بها جميع العوامل النفسية الكامنة في شخصية الفتاة؛ من غضب وخجل وشعور بالنقص وغيره (إبراهيم، د.ت، ص ٩٤).

وقد لوحظ أن موقف الفتاة خلال مرحلة التوقع، سواء بالقبول أو الرفض؛ ذو تأثير كبير على تاريخ حدوث البلوغ. فرفض الفتاة لذلك قد يتسبب في تأخر نزول الحيض، على الرغم من توافر أعراض البلوغ الجسمية والنفسية، أو قد يحدث أن يبدأ ثم يتوقف لعدة سنوات، مما تحتاج معه الفتاة إلى علاج نفسى أو عضوي من أجل إزالة أسباب الاضطراب (إبراهيم، د.ت، ص ٩٢- ٩٣). ومن الأمور التي يتوقف عليها تقبل الفتاة للحيض:

- اتجاه البنت نحو ذاتها كأنثى.

- نظرة البنت إلى الحياة بصفة عامة.

- مدى توفر الحرية للفتاة في مناقشة ما يعترض جسمها من تطورات مع ذويها.

(ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٤٧).

وتتوقف الآثار النفسية المرتبطة بالحيض على الآلام العضوية التى يسببها، وعلى المزاج الذي يصحبها. ولقبول الفتاة أو رفضها دور كبير هنا؛ " فالفتاة التي ترفض حيضها وترد عليه بمزاج متقلب، ... ، كئيب، إنما تحدد دورها الأنثوي مسبقا، وتجعل بينها وبين ذاك الدور هوة، قد تؤدي إلى فشلها كأم أو كزوجة في مستقبل حياتها "، ذلك الدور الذي يمكن أن يتأثر أيضا بالأفكار السائدة في المجتمع بصدد الحيض، مثل الاعتقاد بأنه لعنة، أو إثما.. إلخ (ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٤٧).

وللتربية دورها في تنقية البيئة الاجتماعية من أمثال هذه الأفكار التى تتعارض مع أبسط الحقائق العلمية، وتتعارض قبل ذلك مع الفطرة التى فطر الله سبحانه وتعالى المرأة عليها؛ حيث أوجد فيها من الأمور الحيوية ما يعينها على تحقيق رسالتها في هذه الحياة.

ومن الأمور التي تحدد زمن حدوث البلوغ أيضا: الطبيعة الجغرافية للمكان الذي تعيش فيه الفتاة، حيث لوحظ أن الفتاة من سكان المناطق الحارة تبلغ في سن أصغر من الفتاة من سكان المناطق الباردة. ولعل السبب في هذا الاختلاف يفهم مما قاله الكساس كاريل عن تأثر نشاط الإنسان الوظيفي والعقلي بجغرافية المكان الذي يقيم فيه، حيث **يقول في ذلك ما نصه:**

" لقد خلق الإنسان من تراب الأرض؛ ولهذا السبب تتأثر وجوه نشاطه الفسيولوجية والعقلية، تأثرا كبيرا بالتكوين الجغرافي للبلد الذي يعيش فيه، وطبيعة الحيوانات والنباتات التي يطعمها عادة. كذلك يتوقف بناؤه ووظائفه على اختياره لعناصر معينة من بين الأطعمة النباتية والحيوانية الموضوعة تحت تصرفه... " (كاريل، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ص ١٥).

وهنا يأتي دور التربية في إعداد الفتاة المسلمة المعاصرة لهذا الأمر قبل حدوثه، وأنه يمثل ظاهرة طبيعية، ودليلا على اكتمال نمو المرأة.

وقد لوحظ أن البلوغ يشكل - بصفة عامة - مشكلة لدى الفتاة منذ بدايته، ولفترة بعد الزواج، وذلك بسبب نقص المعلومات وعدم وجود مصدر سليم لها، الأمر الذي

يجعل كثيرا من الفتيات يستقبلن الحيض لأول مرة بشيء من الرفض والإنكار، وهذا قد يحدث لديهن صراعا نفسيا بين **عاملين اثنين**:

الأول: التقدم باعتبار الحيض دليل نضوج.

والثاني: النكوص باعتبار الحيض يمثل انتزاعا لهن من مرحلة الطفولة، وهكذا يصاحب الحيض لديهن بقلق مقترن بتوتر نفسي عام (إبراهيم، د.ت، ص ٩٠-٩١).

ونجد الدراسات الميدانية تؤكد على أن النضج المبكر للفتاة يجعلها في موقف صعب، حيث تتباين في شكلها الخارجي مقارنة بأقرانها، مما يجعلها تبدو شاذة في مجتمع جاهل بما يحدث لها، فتصبح مثار سخرية لهن، الأمر الذي يجعلها عاجزة عن معايشة زميلاتها. وقد تقع في صراع مع والديها اللذين يحاولان تنميطها وفقا للدور المرسوم لها في المجتمع، فيقسوان عليها في النقد خلافا لمن لم يبلغن ممن هن في مثل مرحلتها العمرية، مما يشعرها بالغربة، وقد يصل بها الأمر إلى الرفض لذاتها ولنوعها الأنثوي. ولا تقل آثار التأخر في البلوغ عند الفتاة عن ذلك؛ حيث قد تعاني الفتاة من إهمال قريناتها اللاتي ينظرن إليها على أنها مازالت طفلة، مما قد يشعرها بالرفض والقصور عن بلوغ مستواهن من النضج. (ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٤٨).

ونجد الأطباء يقابلون كثيرا من المشكلات الناجمة عن نقص المعلومات لدى الفتيات، والتي من بينها ما ينذر بتهديد مستقبل الفتاة الشخصي، أو الزواجي (حافظ يوسف، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٧)، الأمر الذي يستوجب من التربية، بكافة وسائلها؛ الاهتمام بتوعية أفراد المجتمع- ذكورا وإناثا- بأهمية حصول الفتاة على المعلومات الضرورية اللازمة لتحقيق أمنها الصحي والنفسي [1] .

وتوجهنا السنة النبوية إلى أهمية مراعاة رهافة الحس والخجل الذي يعتور الفتاة حال حدوث الحيض بأسلوب عملي سلكه الرسول ﷺ مع أمية بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية رضي الله عنها. وتروي أمية القصة فتقول:

" جئت رسول الله ﷺ، في نسوة من بني غفار، فقلنا إنا نريد يا رسول الله أن نخرج معك إلى وجهك هذا، تعني خيبر، فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا. فقال

(١) في دراسة أجريت على مجموعة من الفتيات بمصر، أشارت النتائج إلى أن غالبية أفراد العينة لديهن علم غامض بموضوع البلوغ، وأنهن يستقين معلوماتهم من زميلاتهن البالغات. والقلة فقط هي التي أشارت إلى أنها تستقي معلوماتها من الكتب الطبية (إبراهيم، د.ت، ص ٩٠).

رسول الله ﷺ: على بركة الله. قالت فخرجنا معه. وكنت جارية حديثا سني، فأردفني رسول الله ﷺ حقيبة من رحله، فنزل إلى الصبح فأناخ، وإذا أنا بالحقيبة عليها أثر دم مني، وكانت أول حيضة حضتها، فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله ما بي ورأى الدم قال: لعلك نفست؟ قلت: نعم. قال: فأصلحي من نفسك ثم خذي إناء من ماء ثم اطرحي فيه ملحا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي. ففعلت " (ابن سعد، د.ت، ج٨، ص ٢٩٣).

صفات المرأة بعد البلوغ:

من أبرز الصفات التي تلاحظ على الفتاة بعد البلوغ **أمران اثنان**: الاهتمام بالزينة، والتفكير بالزواج. وسوف نتناول كلا من هذين الأمرين بشيء من التفصيل فيما يلي:

أ- الميل إلى التزين:

يلاحظ أن القلة من الفتيات هن اللاتي ينصرفن إلى العناية بشكلهن الخارجي بصورة ملحوظة قبل البلوغ، في حين تتجاهل ذلك غالبية الفتيات. أما في مرحلة البلوغ وبعده؛ فإن غالبية الفتيات تنصرف إلى العناية بجسمها، فتكرس كثيرا من وقتها للعناية به، وقد تعمد إلى تقليد البالغات في ذلك. (إبراهيم، د.ت، ص ٧٤).

ويؤكد علماء النفس على أن المرأة تميل إلى إظهار تفوقها الجمالي منذ مرحلة مبكرة من حياتها، وأن لذلك أثره الكبير على سلوكها في الواقع. (حافظ يوسف، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٠).

وهذا يطابق ما أشار إليه القرآن الكريم من أن حب التزين أمر فطري لدى المرأة، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف].

ونجد التوجيهات النبوية الكريمة تراعي هذه الفطرة لدى المرأة ونلمس ذلك من سلوك الرسول ﷺ مع حفيدته أمامة رضي الله عنها فقد روي أن رسول الله ﷺ دخل على أهله ومعه قلادة جزع فقال " لأعطينها أحبكن إلي. فقلن يدفعها إلى ابنة أبي بكر. فدعا بابنة أبي العاص من زينب. فعقدها بيده... " (ابن سعد، د.ت، ج٨، ص ٤٠).

كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن النجاشي أهدى إلى رسول الله ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب، فأخذ.. فأرسل به إلى ابنة ابنته زينب فقال: تحلي بهذا يا بنية. " (ابن سعد،

د.ت، ج٨، ص ٤٠).

ونجده ﷺ يتوجه إلى أم سنان الأسلمية رضي الله عنها وقد جاءت تبايعه، فينظر إلى يدها ويقول: "ما على إحداكن أن تغير أظفارها وتعضد يدها ولو بسير." (ابن سعد، د.ت، ج٨، ص ٢٩٢).

ويدخل ضمن أمور الزينة ما يتعلق بالملابس، التي نجد موضاتها تتغير من فصل لآخر من أجل التغلب على الألفة التي تحدث للنفس جراء استمرار المشاهدة؛ ولذلك نجد أرباب الموضات يعمدون إلى التجديد فيها رغبة في دفع النساء إلى المزيد من الاستهلاك.

ونجد أن مجتمعاتنا قد سارت في تبعية عمياء للغرب؛ فراحت وسائل الإعلام لدينا تستخدم مفاتن المرأة الجسدية على نفس المنوال في خطاباتها الإعلانية التي توجه عادة إلى الأسرة الغنية التي تتبع النمط الغربي في معيشتها. فتأتي هذه الخطابات لتصور المرأة على درجة عالية من الغباء التي تجعلها تندفع وراء الاستهلاك، ولا تمتلك أية قدرة على مقاومة إغراء الشراء.

والأصل في الملابس أنها تحقق وظيفتين اثنتين:

الأولى: حماية الجسم من تقلبات الجو.

والثانية: إبراز جمال الجسم وإخفاء قبحه. (يوسف أسعد، د. ت، ص ١٧).

لكن الذي يحدث لدينا الآن هو تغلب الوظيفة الثانية على الأولى بصورة مبالغ فيها كثيرا، وذلك بسبب التقليد الأعمى للغرب، والذي أدى إلى سوء اختيار المرأة المسلمة المعاصرة لملابسها من حيث الشكل والتصميم. فلم يعد لديها اهتمام بمناسبة نوع وشكل الملابس لحرارة الجو أو برودته، بل وقبل ذلك لم يعد لديها وعي بالحدود الشرعية لما يجب إبداؤه وإخفاؤه من الجسم؛ بل أصبحت الرغبة في الغريب وغير المألوف، وما يظهر مفاتن الجسد هي الأساس في الاختيار الأمر الذي أدى إلى إفساد الأذواق وضياع معالم الجمال الحقيقية.

ويلاحظ على صناع الموضات في الغرب؛ أنهم قد أصبحوا في الوقت الحاضر – وبعد أن نضبت أفكارهم – يغرقون في الغريب والخيالي منها.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك؛ مصمم الأزياء الفرنسي كريستيان لاكروا؛ الذي يعتبر البعض أن نجاحه يعود إلى " شخصيته المتمردة. ومزاجيته، وعدم اعترافه بالاعتدال. فتصميماته تضج بالأفكار، والألوان الصاخبة. وفي مزاجيته وتطرفه يكمن إبداعه وتميزه كمصمم ذي رؤيا شابة ومنعشة [1] . " (جميلة حلفيشي في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٣، ص ٤٢).

وتشير كاتبة المقال إلى أن هذا المصمم قد أصبح الآن أكثر توازنا وانسجاما في تصميماته عن ذي قبل، لكنه ما زال " مخلصا لماركته المسجلة؛ وهي جنونه وهوسه بالتجديد على حساب كل المتعارف عليه، واستنادا إلى مقولة الشاعر الفرنسى بودلير[2]: أن الغرابة هي أساس كل جمال.. فهو مصمم فرض أسلوبه الجامح وكسر المعتاد.... " (حلفيشي في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٣، ص ٤٢).

ومصمم آخر؛ عبر عن إعجابه بأفلام المغامرات والخيال العلمي من خلال تصميماته لخريف وشتاء عام ١٩٩٥م / ١٤١٥ هـ، وهي تدل على تخبط المصمم بين عدة أفكار جعلت تصميماته خليطا غريبا وكأن المرأة ستودع الأنوثة وتدخل في حروب لا تعرف أسبابها. وآخر جعل تصميماته مناسبة للحفلات التنكرية التي كانت تقام في القرن الثامن عشر، واعترف بأنه لم يقصد أن تكون عملية أو واقعية؛ بل أراد أن يعبر عن الإثارة، وأنه وجهها للمرأة المترفة التي يمكنها اقتناء مثل هذه التصميمات للمناسبات الخاصة. (حلفيشي في مجلة الشرق الأوسط،١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٤٦٣).

وقد أدركت بعض الغربيات الانحراف الذي تسير فيه المرأة الغربية، يساعدها في ذلك المروجون لوضعها كي يعم دول العالم أجمع، فكان أن قامت مجموعات من النساء بعدة مظاهرات في عدة دول احتجاجا على امتهان المرأة، ومن ذلك احتجاج بعض من النساء في النرويج على وضع ملصقات في الشوارع لإحدى الممثلات، تظهرها بملابس غير محتشمة، حيث رأين في تلك الملصقات إثارة لحنق من لا يملكن مثل قوام صاحبتها،

---

(١) ماذا ستفهم قصيرة النظر لدينا من هذا الكلام سوى أن تصميماته جميلة فابحثي عنها. ونجد أن هذا يمثل الواقع حيث تشير الإحصائيات إلى أن ٧٠٪ من " زبوناته " من العرب (حلفيشي.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٣، ص ٤٢).

(٢) **شارل بودلير** BOUDELAIR ، (١٢٣٧ - ١٢٨٤ هـ / ١٨٢١ - ١٨٦٧ م): كاتب وشاعر فرنسي، ولد وعاش في باريس. كان شاعرا وناظما موسيقيا (المنجد، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م، ص ١٤٨).

وأنها قد تدفع بالبعض من النساء إلى تقليدها تقليدا أعمى، يضر بصحتهن. وهذه هي المرة الثانية للنرويجيات في اتخاذ هذا الموقف خلال أربع سنوات. وقد أيد مسئولوا الشرطة في النرويج هذا الاحتجاج؛ لأنهم لاحظوا أن مثل هذه الملصقات تصرف انتباه السائقين، وتتسبب في وقوع الحوادث (الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٦٠٠٢).

وهذا الموقف يؤيد ما جاء في ندوة نيروبي الخاصة بالعلاقة بين المرأة والاتصال عام ١٩٨٥م حيث جاء فيها ما نصه:

"... من الممكن أن يكون لتصوير المرأة في وسائل الإعلام وفي صناعة الإعلان تصويرا نمطيا جامدا، أثر بالغ على المواقف تجاه النساء وفيما بينهن." (مدانات في ندوة الصحفيات..، ١٤١١ هـ/ ١٩٩ م، ص ٧).

فينبغي الاهتمام بتنمية الاتجاهات السليمة لدى المرأة المسلمة المعاصرة و التي تجعلها تتخذ من زينتها عبودية تتقرب بها إلى الله؛ بحيث يكون إشباعها لغرائزها ضمن الإطار المحدد الذي لا يخرجها عن الشعور بعظمة المعبود، والحرص على مرضاته والذي ينعكس أثره على جوارحها.

ونجد التوجيهات النبوية الكريمة تحرص على تزكية النفس من مشاعر الكبر والاختيال على الآخرين التي يمكن أن تظهر على الفرد من خلال ما يرتديه من ملابس.

فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل: إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا. فقال ﷺ: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس." (مسلم، د.ت، ج١، الإيمان/ ٣٩، ص ٩٣).

وواقع المرأة المسلمة المعاصرة يشير إلى البون الشاسع بين توجيهات القرآن الكريم، وبين الممارسات في واقع الحياة. فهي تتباهى بشراء الملابس التي صنعتها الأيدي الغربية؛ لأن ذلك يمثل في نظرها تطورا، إلى جانب دلالته على مستواها الطبقي، ومكانتها الاجتماعية، وذوقها الراقي، ويغيب عن ذهنها – ومن قبل ذلك عن أذهان المستوردين – إدراك العلاقة التي تربط بين المنتجات والبيئات التي أنتجتها. حيث إنها تأتي محملة بفلسفات منتجيها وتصورهم للحياة. وهكذا أصبح التقليد الأعمى للغرب سببا في أن

تصبح حياتنا مليئة بالأذواق المستعارة.

ويتحدث سيد قطب عن هذه العبودية لأرباب الموضات فيقول:

" إن بيوت الأزياء ومصمميها، وأساتذة التجميل ودكاكينها، لهي الأرباب التي تكمن وراء هذا الخبل الذي لا تفيق منه نساء الجاهلية الحاضرة، ولا رجالها كذلك! إن هذه الأرباب تصدر أوامرها، فتطيعها القطعان والبهائم العارية في أرجاء الأرض طاعة مزرية! وسواء كان الزي الجديد لهذا العام يناسب قوام أية امرأة أو لا يناسبه، وسواء كانت مراسم التجميل تصلح لها أو لا تصلح، فهي تطيع صاغرة. تطيع تلك الأرباب. وإلا (عيرت) من بقية البهائم المغلوبة على أمرها." (سيد قطب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٣، ص ١٢٨٤).

ثم ينبه الأذهان إلى حقيقة تغيب عن – أو لا يدركها – الكثيرون، وهي تتعلق باليهود الذين يعدون أول المستفيدين من هذا اللهاث المحموم خلف الموضات من قبل نساء الأرض كافة حيث:

" يقومون بخصائص الربوبية على البهائم المغلوبة على أمرها! ويبلغون أهدافهم كلها من إطلاق هذه الموجات المسعورة في كل مكان. أهدافهم من تلهية العالم كله بهذا السعار، وإشاعة الانحلال النفسي والخلقي من ورائه، وإفساد الفطرة البشرية، وجعلها ألعوبة في أيدي مصممي الأزياء والتجميل! ثم تحقيق الأهداف الاقتصادية من وراء الإسراف في استهلاك الأقمشة وأدوات الزينة والتجميل وسائر الصناعات الكثيرة التي تقوم على هذا السعار وتغذيه." (سيد قطب،١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ج٣، ص ١٢٨٤).

ويلاحظ أن القرآن الكريم والسنة النبوية يشتملان على كثير من النصوص التي تحث الفرد المسلم على الأخذ بنصيبه من الزينة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١]، وقوله ﷺ: "من كان له شعر فليكرمه ". (أبو داود، د.ت، ج٣، الترجل/ رقم ٤١٦٣، ص ٧٦) وقوله ﷺ: ".. فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس."(أبو داود، ج٤، اللباس رقم ٤٠٨٩، ص ٥٨).

فكل هذه النصوص تحث على الأخذ من الزينة، لكنها لا تعني بذلك الإسراف الذي يخرج الإنسان عن الاعتدال، ويجعل همه محصورا في الاهتمام بجمال الجسد الفاني في غفلة

عن أهمية جمال الروح، الذي تنبه إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ [الأعراف:٢٦]، وينبه إليه الرسول ﷺ في قوله فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم. " وفي رواية: وأعمالكم. " (مسلم، د.ت، البر/ ١٠، ج٤، ص ١٩٨٧).

ومن خلال التربية يمكن توجيه اهتمامات المرأة المسلمة المعاصرة لتكون منصبة على إصلاح القلب، حيث قد جاء في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه قوله ﷺ:" ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب." (مسلم، د.ت، ج ٣، المساقاة/ ٢٠، ص١٢٢٠)، فسلامة القلب هي التي تضمن للمرأة الجزاء الحسن في الآخرة،﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾ [الشعراء]. وما الجسد إلا وسيلة تعين على إصلاح القلب.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف:٢٦] عند سيد قطب ما نصه:

" قال عبدا لرحمن بن أسلم: " يتقي الله فيواري عورته، فذاك لباس التقوى " فهناك تلازم بين شرع الله في اللباس لستر العورات والزينة، وبين التقوى. كلاهما لباس. هذا يستر عورات القلب ويزينه. وذاك يستر عورات الجسم ويزينه. وهما متلازمان. فعن شعور التقوى لله والحياء منه ينبثق الشعور باستقباح عري الجسد والحياء منه. ومن لا يستحي من الله ولا يتقيه لا يهمه أن يتعرى وأن يدعو إلى العري، والعري من الحياء والتقوى، والعري من اللباس وكشف السوأة. " (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج٣، ص ١٢٧٨).

ولابد من التأكيد على حقيقة مهمة أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾

[الأعراف].

فالآية الكريمة فيها تحذير عام من الاستسلام لكيد الشيطان فيما يتخذه بنو آدم من

مناهج وشرائع وتقاليد يجارونه فيها فيسلمهم إلى الفتنة، كما فعل مع أبويهم بوسائله الخفية التي تحتاج إلى شدة الحذر حتى لا يؤخذوا على حين غرة. (سيد قطب،١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ج٣، ص ١٢٧٩- ١٢٨٠)، ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ الحرص على توجيهها إلى قضية اللباس والأزياء باعتبارها جزءا لا يتجزأ من شرع الله ومنهجه في الحياة، ويشير إلى ذلك الربط بينها وبين قضية الإيمان والشرك في الآيات الكريمة التالية:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ فَرِيقٗا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾

[الأعراف]

يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآيات:

" إن قضية اللباس والأزياء ليست منفصلة عن شرع الله ومنهجه للحياة.. ومن ثم ذلك الربط بينها وبين قضية الإيمان والشرك في السياق. " إنها ترتبط بالعقيدة والشريعة بأسباب شتى: إنها تتعلق بالربوبية قبل كل شيء. من حيث الربوبية وتحديد الجهة المشرعة، ومن حيث إبراز خصائص الإنسان باعتباره يختلف عن الحيوان في ذلك. لكن الجاهلية دوما تعمل على نسخ " التصورات والأذواق والقيم والأخلاق. وتجعل العري – الحيواني– تقدما ورقيا. والستر – الإنساني – تأخرا ورجعية! وليس بعد ذلك مسخ لفطرة الإنسان وخصائصه. (سيد قطب، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م، ج٣، ص ١٢٨٤).

كذلك فإنه ينبغي في البرامج التي تقدمها التربية للمرأة المسلمة المعاصرة مراعاة أن تشتمل على دراسات عن أمور الزينة بصفة عامة وعن الملابس بصفة خاصة؛ مما ينمي حسها الذوقي فيما يتعلق بالألوان والتصميمات مع الحرص في الوقت نفسه على الجمع بين

البساطة والجمال والاحتشام الذي يكفل الالتزام بشروط اللباس الشرعي للمرأة المسلمة.

ويمكن من خلال وسائط الثقافة المختلفة تقديم عروض للأزياء تجمع بين كل ذلك، وتوضح للمرأة المسلمة المعاصرة التي قلدت المستورد، كيف أن ما تعرض عنه يجد رواجا وإعجابا لدى كثيرات من نساء الدول الأخرى خاصة المتقدمة، إلى الدرجة التي جعلت إحدى عارضات الأزياء تهتدي إلى الإسلام؛ بعد أن تعرفت على الإسلام ومزاياه من خلال الحديث عن الأزياء الإسلامية [1].

ب - التفكير في الزواج:

لاحظ المحللون النفسيون أن مخاوف الفتاة من الزواج تزداد في مرحلة المراهقة، لكنها سرعان ما تتقبل وضعها باعتبارها أنثى مهيأة فطريا لذلك. ونجد كثيرا من الفتيات يقبلن على الزواج وهن يرهبنه، لما يخالط نفوسهن من هواجس ومخاوف تتعلق بنوع الحياة المنتظرة، وطبيعة التبعات التي يجب عليها أن تتحملها بعد الزواج. (إبراهيم، د.ت، ص ١٠٥- ١١٦).

وهنا تبرز عظمة التوجيهات النبوية التي تحث على تزويج صاحب الدين الذي إن أحبها أكرمها وإلا لم يهنها.

ويشير علماء النفس إلى أن المشكلات التي تواجه الفتاة بعد الزواج؛ عادة ما تنطوي لديها على معان أعمق منها لدى الرجل، وذلك لأن المرأة ترى في الزواج منتهى رغبتها. وهذا ما يجعل عدد الساخطات على الحياة الزوجية أكثر من عدد الساخطين ويؤخر التوافق الزوجي بين الزوجين لفترة تكون خلالها الحياة الزوجية محاطة بعوامل نفسية عديدة. (إبراهيم، د.ت، ص ١١٥).

ويأتي دور التربية هنا في المساعدة على تحقيق هذا التوافق؛ وذلك من خلال إعداد

(١) عارضة الأزياء اليونانية " ماكلين سيكاروس " كانت من أشهر العارضات، ولم تكن تعرف أي شيء عن الإسلام، حتى قامت إحدى الصحف الجزائرية بإجراء حوار معها عن عروض الأزياء. وقد تضمن الحوار سؤالا مثل لحظة التنوير التي جعلتها تتعرف على الإسلام، حيث سألتها الصحفية: لم لا تفكرين في عروض للأزياء الإسلامية؟ عندها طلبت سيكاروس من الصحفية تعريفها بالإسلام فحدثتها الصحفية عنه، وعن المرأة في الإسلام، وعن مواصفات الزي الإسلامي الذي يحرص على حماية المرأة من أعين الفضوليين. عندها اكتشفت سيكاروس " الكنز " الذي كان غائبا عن وعيها، فأسلمت وتسمت بخديجة وتزوجت مسلما من تونس. (المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٢٦).

الفتاة منذ الصغر بما يعينها على تحمل المسئوليات المترتبة على الزواج، والتأكيد في إعداد الفتاة المسلمة المعاصرة على خطأ النظرة التي ترى في الزواج تحررا من سلطة الوالدين، وزينة ومباهج دنيوية؛ حيث إن الزواج ينطوي على مسئوليات عظيمة تحتاج من المرأة المسلمة المعاصرة إلى كثير من الخبرات والمهارات والصفات الشخصية، التي تساعدها على الإحسان في أدائها، ومن ذلك تحليها بالموضوعية، وتفهم أنماط الشخصية، ومعرفة الأساليب التي تعزز العلاقة بينها وبين زوجها لتظل دوما " علاقة مودة ورحمة " كما أراد لها الخالق سبحانه وتعالى.

ويجدر بالذكر أن ننبه هنا إلى خطأ التقليد الذي مازال متبعا لدى عدد من الناس في كثير من البيئات الإسلامية، والمتمثل في المبالغة في الكتمان بالنسبة للأمور المتعلقة بالزواج، حيث يفرض على الفتاة حال زواجها أن تلم بجميع شئونه. الأمر الذي يترتب عليه كثير من المشكلات التي يتسبب فيها عدم التوازن في المعرفة بين الزوجين حيث تتيح الفرص للرجل ما هو ممنوع على الفتاة مسموح له بلا حدود.

ولنا أسوة في رسول الله ﷺ الذي سار في تحقيق التربية الجنسية من خلال منهج رصين ترتب عليه صحة نفسية عمت الرجال والنساء، مما يستدعي إزالة الهالة الضخمة من الإخفاء والتعتيم التي تحاط بكل ما يتصل بأمور الجنس من قريب أو بعيد (أبو شقة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج١، ص ٤٨).

٣ - مرحلة الأمومة:

قال تعالى: ﴿أَلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ [طه].

فالآية الكريمة تشير في مجال المرأة إلى كيف أنه سبحانه وتعالى قد قضى على المرأة بأداء وظيفة خاصة بها ومن ثم وهبها كل ما يلائمها من قدرات واستعدادات، فجاء تكوينها ملائما للرسالة التي اختصت بها والتي تختلف تماما عما خلق له الرجل.

والأمومة وليدة مجموعة من الشروط الهرمونية والوظيفية والغريزية، وهي ضرورية لحياة الطفل، وتظهر آثارها على الفتاة منذ الصغر؛ حيث نجد أن ألعابها تتميز بطابع خاص يؤهلها لأداء هذه الوظيفة، مثل الاهتمام بترتيب الأشياء وصيانتها والمحافظة عليها. (إبراهيم، د. ت، ص ٥٣، ص ١٣٧).

ووظيفة الأمومة في حد ذاتها لتعد أكبر دليل على خطأ المنادين بالمساواة في التعليم بين الذكور والإناث، حيث إن هذه العاطفة لا توجد لدى الرجل، إلى جانب أن المرأة تحتاج إلى تدريب وإعداد يؤهلها للإحسان في أداء المسئوليات المتعلقة بها وإلا ذبلت لديها المشاعر الغريزية، وأصبحت غير قادرة على تلبية احتياجات أطفالها من الرعاية والاهتمام، وهو ما نلاحظه لدى بعض النساء ممن يتقززن ويتأففن عند تنظيفهن لأطفالهن (يوسف أسعد، د.ت، ص ٤٧).

وتشير التجارب والملاحظات إلى أن الرباط الأمومي بين الأم وطفلها يبدأ قبل حدوث الحمل، ومنذ أن تتجه مشاعر الأم إلى الرغبة في الحمل. ثم تنمو هذه المشاعر، وتزداد الرابطة بعد حصول الحمل، وطوال فترة الترقب انتظارا للمولود، ويصف ذلك عدنان السبيعي فيقول:

".... ولعل أشد ما يتجلى هذا الرباط، حين يتحرك الجنين ويرفس برجليه بطن أمه من الداخل، وحين تقلق وتخشى لسكونه إذا سكن ولم يعد يتحرك... ومن ثم حين تصبر الليالي الطويلة والأيام المتعاقبة تتحمل أثقاله التي تتزايد.. وتتعاظم وسبحان الخالق البارئ العظيم... فإن هذه الأم الحامل تنسى في لحظة أو لحظات، وتتوارى من ذاكرتها ومشاعرها تلك الآلام والمنغصات، وذلك في لحظة الوضع حيث ترى المولود يسجى إلى جانبها – وهي على حافة الحياة – منهكة وفاقدة قواها، وتحس بفراغ كبير ومخيف في أعماقها، وسرعان ما يتحول إلى امتلاء عظيم يأتيها من وليدها. " (السبيعي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١، ص م).

كذلك يشير الدكتور السبيعي إلى أن هناك عدة تطورات تطرأ على الأم الحامل ويمكن إجمالها في **شيئين**:

الأول: تغيرات وظيفية وتشريحية وعاطفية تعاني منها الأم في ذاتها بفعل الحمل.

والثاني: تطورات وظيفية وتشريحية وعاطفية ناجمة عن نمو وتحرك كائن جديد في أعماقها.

ويلاحظ تنوع استجابات الأمهات لهذين النوعين من التغيرات؛ وذلك منبعه اتجاه الأم الحامل نحو حملها، والذي تلعب فيه أمور كثيرة؛ منها مدى مشروعية الحمل،

والأسرة، وتأثير الحمل على أنشطة المرأة الاجتماعية إن كانت عاملة وغيرها (السبيعي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص م-ن).

وهنا تكمن أهمية توعية المرأة المسلمة المعاصرة؛ والتي يجب ألا تقتصر على مجرد تعريفها بالعادات الغذائية السليمة، والرعاية الصحية اللازمة لها طوال فترة الحمل؛ بل تتجاوز ذلك إلى إمدادها بالخبرات النفسية اللازمة التي تحقق للجنين النمو الجسدي والنفسي السليم. فقد وجد العلماء مثلا؛ أن سعادة الأم بحملها ورغبتها بالجنين تساعد على تكوين " غشاء نفسي وقائي يحول دون وصول التأثيرات النفسية السيئة من الأم إلى الجنين "(السبيعي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥، ج١، ص ١٠).

ونجد علم النفس يضع مواصفات كثيرة للأم المثالية من بينها؛ اتزان الشخصية والنضج الانفعالي والبعد عن الأنانية وحب الذات والقدرة على توفير الهدوء والاستقرار في الأسرة، والأمن النفسي والعاطفي للأطفال، وغير ذلك من الصفات (عيسوي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٧٧-٧٨).

وكل ذلك يحتاج من التربية إلى جهد متواصل عبر مراحل النمو المختلفة للمرأة المسلمة المعاصرة، ومن خلال جميع مؤسساتها الرسمية وغير الرسمية، حتى تخلق منها إنسانا متكامل الشخصيـة، قادرا على أداء مسئولياته بكفاءة عالية.

ثالثا: صفات نفسية اختصت بها المرأة:

أشرنا فيما سبق إلى أن هناك الكثير من الصفات النفسية التي تميز المرأة عن الرجل. وسوف نتناول فيما يلي أهم هذه الصفات لنوضح دور التربية في تهذيبها لدى المرأة بما يحفظ لها توازنها النفسـي.

وهذه الصفات هي:

١- قـوة العاطفة. ٢- الحيـــاء. ٣- الغيـــرة.

٤- القدرة على احتمال الألم. ٥- الاستعداد للتضحيـــة.

١ - قوة العاطفـة:

يقرر علماء النفس أن المرأة أكثر عاطفة من الرجل (يوسف أسعد، د.ت، ص ٤٧)، حيث وجد علماء التشريح أن الجزء من المخ المتعلق بالعاطفة أكبر لدى المرأة منه لدى الرجل.

وإذا ما نظرنا إلى حقيقة المسئولية التي أنيطت بالمرأة، لوجدنا أن هذه الصفة تتلاءم تماما مع وظيفتها؛ حيث إن الطفل يحتاج إلى مشاعر الحب والحنان التي يجدها تفيض عليه من أمه لأدنى ألم يتعرض له. يقول سيد قطب:

"..... ومن ثم زودت المرأة - فيما زودت به من الخصائص - بالرقة والعطف، وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة - بغير وعي ولا سابق تفكير - لأن الضرورات الإنسانية العميقة كلها - حتى في الفرد الواحد - لم تترك لأرجحة الوعي والتفكير وبطئه، بل جعلت الاستجابة لها غير إرادية! لتسهل تلبيتها فورا وفيما يشبه أن يكون قسرا. ولكنه قسر داخلي مفروض من الخارج، ولذيذ ومستحب في معظم الأحيان كذلك؛ لتكون الاستجابة سريعة من جهة، ومريحة من جهة أخرى - مهما يكن فيها من المشقة والتضحية! صنع الله الذي أتقن كل شيء."(سيد قطب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٢، ص ٦٥٠).

وكذلك نجد الرجل، يأتي متعبا مرهقا من عمله، مما يثير مشاعر زوجته فتندفع من أجل توفير أقصى قدر من الراحة الجسدية والنفسية ما ينسيه متاعبه خارج المنزل.

وعلى الرغم من أن هذا الجهد منبعه الفطرة التي فطر الله المرأة عليها؛ إلا أننا نجد التربية الإسلامية تعزز من قيمة المرأة واحترامها لنفسها من خلال اعتبارها إحسان المرأة في رعاية رعيتها – زوجها وبيتها وأولادها - يعدل عمل الرجال خارج المنزل.

ونجد آيات القرآن الكريم تشير إلى أن قوة العاطفة لدى المرأة تجعلها تستجيب لأدنى إثارة، فنجدها إذا ما خولفت أو نوقشت أو نيل منها؛ سرعان ما تغضب وتثور ويغلبها البكاء. وصدق الله العظيم: ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ ١٨﴾ [الزخرف].

فينبغي الاهتمام في تربية المرأة المسلمة المعاصرة بغرس حقيقة الرضا بما جبلت عليه من طبيعة تلائم ما خلقت له من مهمة في نفسها، والانطلاق من ذلك لغرس حقيقة

الرضا بجعل القوامة وحق الطلاق بيد الرجل، لأنها – المرأة – تحتاج إلى العاطفة في تعاملها مع أولادها وزوجها، ووجود هذه العاطفة قد يجعلها تسيء فيما لو وضع حق القوامة أو الطلاق بيدها.

وما يحدث في الغرب الآن؛ ليعد أكبر دليل على ذلك، حيث وجد أن نسبة الطلاق إلى الزواج تبلغ ١:٥، وأن٨٠٪ من طلبات الطلاق قدمتها النساء.

(Rahman , 1986, p. 38)

وقد أشارت نتائج دراسة قامت بها العالمة النفسية (كليود السون) عن العوامل النفسية للرجل والمرأة إلى ما يلي:

١ – تميل سائر النساء للعمل تحت إشراف شخص آخر.

٢ – ترغب سائر النساء لأن يتوفرن على الإحساس بأن وجودهن مؤثر، وهو مورد حاجة للآخرين.

وتعلق الباحثة على هذه النتائج فتقول:

" أعتقد أن ميل النساء في النقطتين أعلاه ينشأ جراء كون النساء يتأثرن سلوكيا بالعنصر العاطفي بينما يحكم العقل سلوك الرجال. فقد شوهد الكثير من النساء لا يتساوين مع الرجال في الاستعداد الذهني فحسب؛ بل يتفوقن عليهم أحيانا في هذا المجال. غير أن نقطة ضعف النساء تنحصر في عواطفهن الشديدة. فالرجال يفكرون – على الدوام– بطريقة أكثر عملية، تقييمهم أفضل وقدرتهم على القيادة أكبر. إذن التفوق الروحي للرجال على النساء أمر صنعته طبيعة الخلق، ومهما حاولت النساء أن تناضل ضد هذا الأمر الواقع فلا محصلة لهذا النضال. يتحتم على النساء الرضوخ لهذا الواقع؛ أي حاجتهن لإشراف الرجال في حياتهن بحكم كون النساء أشد عاطفة وأرهف حساسية." (المطهري، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٩٩-٢٠٠).

فلابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من تعريفها بحقيقة القوامة التي لها أسبابها من التكوين والاستعداد وتوزيع الوظائف والاختصاصات، وأن المرأة بحكم فطرتها غير مؤهلة للقيام بها، وإلا لفسد استعدادها لوظيفتها الأساسية. إلى جانب ما يلاحظ في المجتمع من انحراف عن السواء لدى أفراد الأسر التي تنعدم فيها قوامة الرجل في الغالب (سيد قطب، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج٢، ص ٦٥١).

وأهم ما ينبغي التركيز عليه هنا؛ هو أن قوامة الرجل لا تعني إلغاء شخصية المرأة، حيث نجد التربية الإسلامية حريصة على تحديد صفة القوامة وما يصاحبها من تكاليف في النفس والمال، وآداب في التعامل بما يحفظ للأسرة المودة والرحمة التي نشأت في ظلها.

٢- الحياء:

أمر فطري وهو يمثل الصفة التي أشار الرسول ﷺ إلى أنها تمثل جزءا من الإيمان وذلك في قوله ﷺ: " فالحياء من الإيمان "[(١)] (البخاري، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م، ج١، الإيمان / ١٦، ص١١).

ويعرف الشيخ المودودي الحياء على أنه: " ذلك الشعور من الخجل الذي يشعر به الإنسان في نفسه أمام فطرته وأمام الله تعالى حينما يميل إلى منكر "، ... وهو القوة التي تكف الإنسان عن الإقدام على الفحشاء والمنكر، والتي تحرص التربية الإسلامية على تدعيم هذه الصفة الفطرية في نفس الفرد المسلم، وذلك من خلال تغذيتها وتنميتها بالعلم والفهم والشعور. (المودودي، د. ت، ص ٢٥٦ - ٢٥٧).

ويعرف الماوردي الحياء على أنه سمة من سمات الخير التي تصد صاحبها عن فعل القبيح وله ثلاثة أقسام: حياء من الله، وحياء من الناس وحياء من النفس:

١- **الحيـاء من الله**: ويكون بأداء أوامر الله ونواهيه، وهو من قوة الدين وصحة اليقين.

٢- **الحياء من الناس**: ويكون بكف الأذى عنهم، وترك المجاهرة بالقبيح، وهو من كمال المروءة.

٣- الحياء من النفس: وذلك بأن يكون المسلم عفيفا فيما بينه وبين نفسه مثلما هو عفيف فيما بينه وبين الناس.

ويشير الإمام الماوردي إلى أن الإخلال بأحد هذه الثلاثة يلحق النقص بصاحبه. (الماوردي، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م، ص ٢٢١ – ٢٢٤).

والحياء نزعة فطرية لدى المرأة أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ

(١) عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال: " دعه فالحياء من الإيمان. "(البخاري، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م، ج١، الإيمان / ١٦، ص١١).

إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ ﴾ [القصص:٢٥] وأشارت إليه السنة النبوية فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ من أنه كان " أشد حياء من العذراء في خدرها ". (مسلم، د.ت، ج٤، الفضائل / ١٦، ص ١٨٠٩).

ومن ثم فإنه ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية الالتزام بهذا الخلق الكريم الذي هو جزء من الإيمان، وكيف أن انعدام هذا الخلق عند الفرد المسلم يجعله ينجرف وراء الأهواء والشهوات فلا يضع ضابطا لسلوكه. وإلى ذلك يشير قوله ﷺ فيما رواه أبو مسعود رضي الله عنه: " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة، إذا لم تستح فاصنع ما شئت" (البخاري، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م، ج٧، الأدب / ٧٨، ص ١٠٠).

لكن ينبغي على التربية وهي تحرص على غرس هذا الخلق في نفس المرأة المسلمة المعاصرة؛ أن تحذر من الممارسات الخاطئة التي تلمس في بعض البيئات الإسلامية، حيث يعمد الأهل إلى الإغراق في بث خلق الحياء لدى الفتاة منذ الصغر، حتى يصل إلى حد الخجل المذموم، الذي يمنعها من ملاقاة محارمها من الأعمام والأخوال وغيرهم؛ مما يتلف ثقة المرأة بنفسها في كل عمل جاد يتطلب منها المواجهة أو إبداء رأيها بصراحة (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ١٢٨).

كذلك ينبغي على التربية أن تحرص على سلامة النمو الجسدي للفتاة، وذلك من خلال توجيهها منذ الصغر إلى أهمية انتصاب القامة لديها؛ حيث يلاحظ أن كثيرا من الفتيات يعمدن إلى حني الظهر بغية إخفاء الصدر لديهن مع بداية نموه عند البلوغ.

٣- الغيـــــرة:

إن الناظر في السنة النبوية؛ يجد فيها ما يشير إلى وجود دافع الغيرة لدى المرأة.

من ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها حيث قالت:

" كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة على عائشة وحفصة، فخرجتا جميعا. وكان رسول الله ﷺ إذا كان بالليل، سار مع عائشة يتحدث معها. فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري، وأركب بعيرك، تنظرين وأنظر؟ قالت: بلى. فركبت عائشة على بعير حفصة. وركبت حفصة على بعير عائشة. فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل عائشة، وعليه حفصة، فسلم ثم سار معها، حتى نزلوا. فافتقدته عائشة فغارت. فلما

نزلوا جعلت تجعل رجلها بين الإذخر[1] وتقول: يا رب! سلط علي عقربا أو حية تلدغني. رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئا " (مسلم، د.ت، ج٤، فضائل/ ١٣، ص ١٨٩٥).

ونجد السيدة عائشة رضي الله عنها تقر بوجود هذا الدافع لديها فتقول: " ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها ولقد أمره ربه - عز وجل - أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلاها. " (مسلم، د.ت، ج٢، فضائل / ١٢، ص١٨٨).

وتحكي الصحابية رزينة مولاة رسول الله ﷺ عن موقف دفعت إليه الغيرة، حدث بين زوجات الرسول ﷺ فتقول:

".... إن سودة اليمانية جاءت عائشة تزورها وعندها حفصة بنت عمر رضي الله عنها فجاءت سودة في هيئة وفي حالة حسنة عليها برد من دروع اليمن وخمار كذلك وعليها نقطتان مثل الفرستين من صبر وزعفران فقالت حفصة لعائشة يا أم المؤمنين: يجيء رسول الله ﷺ وهذه بيننا تبرق، فقالت أم المؤمنين: اتقى الله يا حفصة! فقالت: لأفسدن عليها زينتها. قالت: ما تقلن؟ وكان في أذنها ثقل، قالت لها حفصة: يا سودة خرج الأعور، قالت: نعم، ففزعت فزعا شديدا فجعلت تنتفض، قالت: أين أختبئ؟ قالت عليك بالخيمة! خيمة لهم من سعف يخبئون فيها، فذهبت فاختبأت فيها وفيها القذر ونسيج العنكبوت، فجاء رسول الله ﷺ وهما تضحكان لا تستطيعان أن تتكلما من الضحك فقال: ماذا الضحك؟ ثلاث مرات، فأومأتا بأيديهما إلى الخيمة، فذهب فإذا سودة ترعد! فقال لها يا سودة مالك؟ قالت: يارسول الله! خرج الأعور! قال ما خرج وليخرجن، ما خرج وليخرجن، فأخرجها فجعل ينفض عنها الغبار ونسيج العنكبوت." (الكاندهلوي، د.ت، ج٢، ص ٥٥٤).

ولأن التربية الإسلامية تحرص على ضبط الانفعالات حتى لا تتحكم في سلوك الفرد المسلم فتخرجه عن حالة التوازن التي ينبغي أن يكون عليها؛ فقد وجدنا الرسول ﷺ يوجه المرأة المسلمة إلى أهمية الصبر والاحتساب إذا ما كتب الله لها أن تكون ذات ضرائر. فقد روى عنه ﷺ أنه قال: " إن الله تعالى كتب الغيرة على النساء و الجهاد على الرجال، فمن صبر منهن إيمانا واحتسابا كان لها مثل أجر الشهيد." (المتقي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م،

(١) **الإذخر**: الحشيش الأخضر. (المنجد، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م، ص ٢٣٣).

ج٦، ص٤٢٧).

بل نجده ﷺ يحذر المرأة المسلمة من التفاخر الذي قد تدفع إليه الغيرة، فقد روت أسماء رضي الله عنها أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: " إن لي ضرة، فهل علي جناح أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني، فقال رسول الله ﷺ: " المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور". (مسلم د.ت، ج٣، اللباس / ٣٥، ص ١٦٨١).

فينبغي الحرص في تربية المرأة المسلمة المعاصرة على توجيه انفعالاتها بما يجعلها خاضعة للقيم الإيمانية العليا، ويحفظ لها صحتها النفسية والعقلية، وكرامتها من الهبوط عن المستوى اللائق بها كإنسان.

٤ - القدرة على احتمال الألم:

على الرغم من مظاهر الضعف التي تبدو لدى المرأة، إلا أنها تقترن بمظاهر قوة تعوضها إلى حد كبير، ومن ذلك القدرة على احتمال الألم، حيث أثبتت الفحوص الفسيولوجية، أنها أكبر لدى المرأة منها لدى الرجل.

من ذلك ما أثبتته التجارب من أن قدرة المرأة على مقاومة الحر والبرد وعوامل التعب أكبر من قدرة الرجل (السبيعى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٧٣)، وبصفة عامة فإن احتمال إصابة المرأة بالمرض أقل من احتمال إصابة الرجل في نفس الظروف، ولهذا كانت نسبة الوفيات بين النساء أقل منها بين الرجال، على الرغم من الأخطار التي تتعرض لها المرأة خاصة أثناء الحمل والولادة. (إبراهيم، د.ت، ص ٢٨).

فهذه القدرة التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على المرأة تنبهنا إلى طبيعة جسم المرأة المتغيرة والتي يوضحها السبيعي بإشارته إلى أن استقرار المرأة هو من النوع الديناميكي الذي يتعرض دوما للمعوقات والصعوبات، فهي لا تكاد تحقق شيئا من التوازن؛ حتى تتعرض لتغيرات جديدة تستوجب منها إعادة بنائها العضوي والنفسي والاجتماعي، والسعي من أجل تحقيق التكيف من جديد. (السبيعي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٧٣).

إن هذه المرونة والقدرة على التكيف التي تتمتع بها المرأة لتفسر لنا السبب فيما أشارت إليه الإحصاءات، وكذلك تفسر لنا السبب في ارتفاع نسبة وفيات الأطفال من الذكور عنها لدى الإناث. (إبراهيم، د.ت، ص ٢٨).

ونلاحظ في واقعنا المعاش، أن هناك من القيم الاجتماعية السائدة ما يعزز هذه القدرة لدى المرأة، بما يعود بالنتائج السلبية على حياتها؛ حيث تشجع تلك القيم المرأة على جعل مسألة صحتها في ذيل قائمة اهتماماتها، مفضلة في ذلك تلبية مطالب أفراد أسرتها. ومن الأمثلة على ذلك أن المرأة في بعض البيئات الإسلامية تؤثر أفراد أسرتها الذكور بالجيد من الغذاء، حيث تتحمل هي الجوع، وتتناول ما يفيض عن حاجتهم، رغم أنها قد تكون أشد حاجة إلى الغذاء منهم، باعتبار ما تقوم به من مسئوليات الحمل والولادة والرعاية.

ويشير الدكتور كاريل إلى أهمية الغذاء في البناء السليم للجسم بقوله:

" إن استعدادنا ومصيرنا يجيء إلى حد ما من طبيعة المواد الكيميائية التي تبني أنسجتنا ويبدو أن البشر، مثل الحيوانات؛ يمكن أن يمنحوا صناعيا صفات مميزة معينة من الناحيتين البدنية والعقلية إذا قدمت لهم أطعمة مناسبة منذ الطفولة " (كاريل، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، ص ١٠٥).

كذلك نجد من بين الدراسات ما يشير إلى أن الآلام التي تعانيها النساء قبل الدورة الشهرية، من وهن وأحيانا اكتئاب نفسي، مما قد يصل إلى لزوم الفراش ويسمى بـ "التناذر" أو مرض ما قبل العادة، يصيب ٢٠٪ من النساء تقريبا، وأن من بين أسبابه قلة تناول النساء للفيتامينات (آلام ما قبل الطمث .. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٩٤).

أيضا نجد أن قلة أو انعدام الوعي الصحي في كثير من البيئات؛ يشكل عائقا أمام المرأة في وقاية نفسها من الأمراض، أو علاجها حال وقوعها، خاصة الأمراض التناسلية التي يلعب الغموض فيها، وندرة المعلومات عنها من حيث الأعراض والنتائج، دورا كبيرا في ذلك.

من ذلك مثلا ما أشارت إليه نتائج إحدى الدراسات المتعلقة بأمراض الخصوبة في الريف المصري، من انتشار لأمراض الجهاز التناسلي والعلل الأخرى المرتبطة بالإنجاب بين الريفيات بشكل كبير، سيما الفقيرات منهن، اللاتي لا يحظين بأي قسط من التعليم، ويتزوجن في سن مبكرة، وينجبن عددا كبيرا من الأبناء، مما يزيد من عبء المرض عليهن. وقد أشارت الدراسة إلى أنه على الرغم من ارتفاع نسبة هذه الأمراض بين أفراد العينة؛ إلا أنهن كن يعتبرنها ليست بذات أهمية، حيث إن البعض منهن يعرفن بأنهن مصابات لكن لا

يفعلن شيئا إزاء ذلك، في حين أن البعض الآخر يجهلن إصابتهن (فرج .. في مؤتمر صحة المرأة، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٠٢).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتكوين الوعي الصحي لديها، بما يجعلها تدرك أن جسدها أمانة لديها سوف تسأل عنها يوم القيامة. فقد جاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "ولجسدك عليك حقا " (مسلم، د.ت،ج٢، الصيام/ ٣٥، ص٨١٣).

فإدراك المرأة المسلمة المعاصرة لهذه الحقيقة لابد وأن يدفعها للحرص على صحتها، ويبعد عنها الخجل المذموم الذي قد يمنعها من طلب المشورة الطبية في حال الحاجة إليها.

كذلك ينبغي على التربية أن توجه وسائط الثقافة المختلفة من أجل الإسهام في التوعية الصحية بالأمراض التي يمكن أن تصيب النساء، جراء إهمالهن شئون التغذية والوقاية من الأمراض، والآثار السلبية التي تعود من وراء ذلك عليهن وعلى أفراد أسرهن.

٥- الاستعداد للتضحية:

يبرز هذا الاستعداد لدى المرأة نابعا من قدرتها على تحمل الآلام والتي تتجاوز المجال المادي إلى المجال المعنوي؛ حيث نجدها لا تكتفي بمجرد التعاطف مع آلام الآخرين، بل تعيش من خلال تلك الآلام، وتحاول التخفيف منها بقدر الاستطاعة (السبيعي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١، ص ٧٧).

فالله سبحانه وتعالى قد أعطى المرأة القوة التي تمكنها من أداء وظيفتها المهمة، وفي الوقت نفسه تستمتع بها. ونلاحظ على الرجل أنه عادة ما يفرح بإنجاب الأولاد، لكنه ليس على استعداد لتحمل المتاعب التي تتحملها الأم لأجلهم من رعاية وتضحية، بل وتجد المتعة في ذلك العمل الذي يستنفذ كل جهدها ووقتها. فإذا ما وجد من بين الرجال من هو كذلك فإنما هو استثناء وليس قاعـدة (Rahman, 1986, pp. 24-25).

ونجد أن تضحية المرأة لا تقتصر على وقت السلم فقط؛ بل وتنسحب على وقت الحرب أيضا، حيث نجد لديها استعدادا هائلا لقبول كثير من التضحيات الإرادية التي تدفعها إلى الإسهام في القتال بقدر استطاعتها عن طيب خاطر منها. ونتذكر هنا أم

إسماعيل وأم موسى اللاتي ضحين في سبيل العقيدة، الأولى بمفارقة وطنها والرضا بالعيش في أرض قفر، والثانية بابنها حيث ألقت به في اليم تحرسه يد العناية الإلهية.

ونتذكر أيضا مسلمات صدر الإسلام اللاتي كن يطلبن من الرسول الخروج مع الجيش ومنهن أم حرام التي طلبت منه ﷺ أن يدعو الله لها لتكون ممن يغزو في البحر.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن أم حرام رضي الله عنها قالت: " أتانا النبي ﷺ يوما فقال عندنا. فأستيقظ وهو يضحك، فقلت: ما يضحكك؟يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! قال: " أريت قوما من أمتي يركبون ظهر البحر كالملوك على الأسرة"، فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: " فإنك منهم". قالت: ثم نام فاستيقظ أيضا وهو يضحك، فسألته فقال: مثل مقالته فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: " أنت من الأولين " (مسلم، د.ت، ج٣، الإمارة/ ٤٩، ص ١٥١٩).

فينبغي على التربية أن تهتم بتعريف المرأة المسلمة المعاصرة بهؤلاء النسوة؛ لتنمي لديها الاستعداد للتضحية، وأن تدربها على مواقف البذل والعطاء غير المحدود في انتظار الأجر من الله.

رابعا: دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يساعدها على التمتع بالصحة النفسية:

مفهوم الصحة النفسية: توصل الدكتور محمد عبد الجابر من خلال عرضه لمفهوم الصحة النفسية في رأي علماء النفس إلى أنها تعني الامتداد بالحالة الصحية للفرد من حيز الذات للوصول إلى حالة من التوافق النفسي والاجتماعي وذلك من خلال نقل الفرد إلى **حالتين إيجابيتين** هما:

أ- **تأثير الفرد** في بيئته بإيجابيـة.

ب- **تكيف الفرد** وامتثاله لمؤثرات بيئتـه.

ومن ثم فإن لكل مجتمع تعريفه الخاص به.

(عبد الجابر، ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م، ص ٢٧٧).

أما في الإسلام فإن مفهوم الصحة النفسية يعتمد على " مقومات أساسية تهيء الإنسان لممارسة دوره في الحياة الدنيا، وتربطه في سلوك متعلق باليوم الآخر". وذلك لأن

الله سبحانه وتعالى حين خلق الإنسان؛ زوده بكل المقومات التي تمكنه من أن يكون "محسنا، مؤمنا، مفلحا، متمتعا بصحة نفسية وعقلية وروحية وجسمية واجتماعية ... في إطار منهج هذا الدين العظيم، الذي ينتقل بهذا الإنسان برفق منذ خلقه، وحتى تعلق نفسه وروحه بالآخرة. (عبد الجابر، ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م، ص ٢٨٠-٢٨١).

وسوف نوضح فيما يلي الدور الذي يمكن أن تقوم به التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يحقق لها صحتها النفسية من خلال إمدادها بالمعارف والخبرات والاتجاهات اللازمة للسير في هذه الحياة الدنيا وصولا إلى الدار الآخرة، وذلك من خلال مناقشة الموضوعات التالية:

١- تدعيم اعتزاز المرأة المسلمة المعاصرة بكونها أنثى والارتقاء بمفهومها عن الذات.

٢- تحقيق البناء السليم لشخصية المرأة المسلمة المعاصرة.

٣- حمايتها من التقليد والتبعية للآخرين.

٤- القضاء على جميع ممارسات العنف ضدها.

٥- تدعيم صمود المرأة المسلمة المعاصرة أمام الابتلاءات.

وسوف تتم مناقشة ذلك بالتفصيل في الآتي:

١- تدعيم اعتزاز المرأة المسلمة المعاصرة بكونها أنثى والارتقاء بمفهومها عن الذات:

نتيجة لتراكم الاضطهاد والظلم على المرأة المسلمة المعاصرة عبر عصور الركود والتقليد، فقد تدنت نظرة المرأة إلى نفسها فأصبحت تنظر إلى نوعها باعتباره ضعيفا مظلوما مقهورا، ومن ثم تمكن الشيطان من جرفها وراء الأهواء والشهوات من أفكار وأشكال في تبعية عمياء للشرق والغرب.

لذا فإنه ينبغي على التربية أن تعمل على تصحيح نظرة المرأة لنفسها، بحيث تعرفها بحقوقها وواجباتها لتمارسها في إطار من المبادئ والقيم التي يرتضيها لها الإسلام.

كذلك فإنه ينبغي على التربية أن تعمل على تلافي الأسباب التي تؤدي إلى قصور

وعيها بحقوقها. ونجد من بين الدراسات التي أجريت في بيئات إسلامية ما تشير إلى بعض هذه الأسباب، ومنها[1]:

أ – **ضعف مستوى الوعي داخل الأسرة** والذي يدفعها إلى التمييز بينها وبين الذكور في التعليم وفي المعاملة:حيث تشير نتائج الدراسات؛ إلى أن كثيرا من الأسر التي تؤمن بأهمية تعليم البنات، ترى أن فرص التعليم العالي تحديدا، أمر جدير بالذكور باعتباره يمثل استثمارا مستقبليا تعود فائدته على الأسرة، على العكس من تعليم الفتيات الذي تعود فائدته المستقبلية لأسرة أخرى بعد زواج الفتاة. كما أن التمييز يبدو أكثر وضوحا في الأسرة الفقيرة التي تفضل إنفاق الميزانية القليلة على تعليم الذكور، وتفضل تزويج البنت في سن مبكرة بدلا من تعليمها.

ب– **ضعف مستوى الوعي لدى المجتمع ككل**: **إذ** لاشك في أن وعي المرأة بذاتها ليس منفصلا عن وعي المجتمع بذكوره وإناثه، بل هو مرافق له. وتشير نتائج الدراسات إلى أنه على الرغم من التغيرات التي شهدتها المجتمعات المعنية؛ إلا أنه مازالت هناك مجموعة من القيم والمفاهيم الخاطئة تسود المجتمع فيما يتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة.

فمثلا مازال الاحتقار لعمل المرأة في المنزل ساريا، ومازال الاعتقاد بأن إسهام الرجل فيه؛ يقلل من مكانته ويسيء إلى أهميته في نظر الآخرين. ومن ثم وجدنا المرأة إذا ما وجدت من زوجها أية مساعدة؛ نظرت إليها على أنها مساعدة غير متوقعة، وربما حسن أخلاق من الرجل ليس إلا، ويستطيع الرجل أن يتوقف عنها متى شاء دون أن يبدو مقصرا.

وللتربية دورها في تصويب هذا المفهوم لدى أفراد المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال عرض حياة الرسول ﷺ القدوة، الذي روت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها أنه كان "يكون في مهنة أهله..... يحلب شاته ويخدم نفسه." (ابن حنبل، د.ت، ج٦، ص٢٥٦).

ونجد أن ترفع الرجال عن مد يد العون لأسرهم هو الذي أوقع كثيرا من الأسر في مصيدة " الخادمات"، خاصة في المجتمعات الغنية التي راحت تجلب لنفسها المشكلات

---

(١) أجريت هذه الدراسات في ست دول إسلامية هي: الأردن، مصر، سوريا، لبنان، اليمن،فلسطين، وقد تمت مناقشتها في المؤتمر التحضيري للمؤتمر الرابع للمرأة بعمان في آيار ١٩٩٥م / ١٤١٥ هـ.
انظر: (المرأة العربية – واقع وتطلعات،١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ص ٢٨، ص ٢٨٢-٢٩٦).

الاجتماعية المختلفة من خلالهن.

ج - اقتناع المرأة بدونيتها، وعدم ثقتها بنفسها وجهلها بالحقوق التي كفلها لها الإسلام: ومن الأدلة على ذلك ما أشارت إليه نتائج عدد من الدراسات من أن كثيرات من النساء يعتبرن أن التعليم أمر ليس على تلك الدرجة من الأهمية بالنسبة لهن، الأمر الذي يؤكد جهل المرأة بالسبل الحقيقية لتحريرها من الظلم الذي تعيش فيه.

ويكمن دور التربية هنا في غرس الوعي في نفس المرأة المسلمة المعاصرة بأهمية العلم باعتباره فريضة تمكنها من الإحسان في تحقيق معاني العبودية في واقع حياتها، وأنه السبيل الوحيد لتحريرها الحقيقي في ظل الإسلام.

د - الدور السلبي لوسائل الإعلام الجماهيرية من إذاعة وتلفاز وصحافة ومجلات وكتب دراسية: فقد أشارت نتائج الدراسات إلى أن أجهزة الإعلام تعمد إلى إبعاد المرأة عن نطاق الاهتمامات الفكرية، حيث تقتصر على إبقائها ضمن المجال الأنثوي، فتقدم لها ثقافة الأزياء وفنون التجميل والطبخ، إلى جانب أن الإعلان التلفازي يعتمد بالدرجة الأولى على جمال وجه المرأة البالغة الجمال.

كذلك وجد أن البرامج الموجهة للمرأة لا تخدم المرأة المثقفة أو العاملة أو الريفية، وأن الأفلام والمسلسلات تعرض صورة للمرأة تتناقض مع مبادئ الإسلام؛ فالمرأة الفاضلة الطاهرة النقية مدعاة للملل والرتابة، ويضيق بها البطل، في حين أن المرأة اللعوب ذات الماضي " العريق " هي الجذابة الساحرة، والمعنى أنه لابد أن تعدل المرأة من أساليبها وفقا لما تراه في اللبس والكلام والحديث والزينة حتى تكون ناجحة.

ويكمن دور التربية في توجيه وسائط الثقافة المختلفة وعلى رأسها أجهزة الإعلام من أجل تصحيح الصورة المشوهة التي تقدمها للمرأة، ومن أجل دفعها إلى الإسهام في تصحيح صورة المرأة المسلمة المعاصرة عن نفسها، والارتقاء بفكرها إلى المستوى المطلوب.

٢- تحقيق البناء السليم لشخصية المرأة المسلمة المعاصرة:

إن التنشئة التقليدية للمرأة المسلمة المعاصرة من الأمور التي تزيد من الفجوة بينها وبين العودة لممارسة وضعها في ظل المكانة التي منحها إياها الإسلام، خاصة في ظل

النظرة إلى المرأة باعتبارها قاصرا مهما بلغت من العمر، وتربيتها على الخضوع التام للأعراف والتقاليد بعيـدا عن مبادئ الإسلام، مما ينعكس أثره على شخصيتها حيث يعمل على إعاقة حب الاستطلاع والمبادرة والرغبة في العمل والإبداع.

ونجد المجتمع يزيد من ضغطه على المرأة حينما يعزز فيها الضعف في الشخصية؛ حيث توسم بأنها " مسترجلة " إذا ما كانت قوية الشخصية لا تأبى الضيم، وهناك دراسات تشير إلى أن المرأة تخشى التوقعات الاجتماعية المستديمة التي قد تتهمها بالذكورة (حسن في مجلة العلوم الاجتماعية، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م، ص ٢٠)، مع أن الرسول ﷺ يقول: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف " (مسلم، د.ت، ج٢، القدر / ٨، ص٢٠٥٢)، وهو الذي قال بأن " النساء شقائق الرجال " (الترمذي، د.ت، ج١، الطهارة / ٨٢، ص١٩٠).

فمن أجل إعادة شخصية المرأة المسلمة المعاصرة إلى وضعها الصحيح في ظل الإسلام؛ فإنه لابد من إعادة صياغة البناء النفسي لها؛ حيث إنها قد فقدت نفسية الخلافة التي يجب أن تتمتع بها خلال عصور الركود والتقليد؛ فلم تعد تدرك حقوقا ولا واجبات، إلى جانب أنها أصبحت غير قادرة على إمداد أبنائها بالحب والعطف والحنان الذي يجب أن تعطيه لهم لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

والبداية تكون بالاهتمام بمرحلة الطفولة حيث تهيأ المرأة لمسئولية الخلافة من خلال إمدادها بالخبرات والمهارات والاتجاهات اللازمة، بما يوجد لديها مناعة تصدها عن التأثر بالخبرات والاتجاهات المخربة.

ويشير الأستاذ محمد قطب إلى أن التربية إذا ما وجهت طاقات المرأة نحو غاياتها؛ فإنها تثمر عن إيجابية بناءة، عاملة في نفس المرأة، تدفع بها إلى العمل الجاد المثمر البناء. في حين أن اختزال النمو في الاستعدادات، الناجم عن سوء التربية والتوجيه؛ يؤدي إلى أحداث إيجابية مختلة أو إلى سلبيات كثيرة لدى المرأة.

والإيجابية المختلة تتمثل في **الطغيان** وهو **نوعان**:

أ - **طغيان علـى النفس**: يدفع المرأة إلى كبت بعض الطاقات وإبراز بعضها الآخر.

ب- **طغيان على الآخـرين**: بحيث تندفع في تقرير حقوقها وواجباتها بعيدا عن المجتمع،

فلا تهتم بترابطه، ولا بما يطرأ عليه من خلل.

وفي مقابل هذه الإيجابية المختلة هناك **سلبية مريضة** وهي أيضا على **ضربين**:

أ- **سلبية مع النفس**: حيث تطلق المرأة لنفسها العنان لتسبح وراء الشهوات دون ضوابط.

ب- **سلبية مع الآخرين**: حيث يضيع كيانها وسط سطوة القوى الاجتماعية المختلفة، سواء كانت مادية أو اقتصادية أو أعراف أو عادات أو تقاليد.

وكلاهما اختلال لا يليق بخليفة الله في الأرض، وينشآن من سوء التربية التي قد تتناول جوانب من المرأة دون غيرها، أو تتناولها على غير الوجه المطلوب. (محمد قطب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج١، ص ٣٠-٣١).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ الحرص على تكوين شخصيتها وفقا لمعطيات الكتاب والسنة، لتجيء متميزة قادرة على العطاء في جميع المجالات، مؤهلة للقيام بدور الرعاية المطلوب.

وهناك عدد من الصفات والمهارات القيادية التي ينبغي على التربية أن تهتم بتكوينها لدى المرأة المسلمة المعاصرة[1] وهي:

أ - المقدرة على التحفيز:

أي امتلاك الصفات والمهارات التي تمكنها من توجيه أفراد أسرتها، بما يشيع روح التعاون داخل الأسرة. وتكوين هذه المقدرة لدى المرأة المسلمة المعاصرة يحتاج من التربية إلى تعريف المرأة باحتياجات النفس البشرية ومتطلباتها.

وأفضل الوسائل في تحفيز الآخرين:

١- التشجيع عند الاجتهاد. ٢- الاعتراف عند الإنجاز.

٣- المشاركة عند القرار.

(١) هذه الصفات أوردها د. بشير الجابري على أنها صفات ومهارات للقائد الإدراي رأت الباحثة أنها تصلح لأن تكون صفات للمرأة الراعية في بيتها باعتبارها تمارس فيه نوعا من القيادة. انظر: (الجابري، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١١١-١٤٨).

(الجابري، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٤٧)

ب - الثقـــة بالنفس:

وإيجاد هذه الصفة لدى المرأة المسلمة المعاصرة يحتاج من التربية إلى تعزيز صلتها بالخالق لتكون واثقة بوعده، مدركة لحقيقة وجودها في هذا الكون، وكذلك لمسئوليتها التي إن أحسنت في أدائها نالت رضا الله سبحانه وتعالى ثم رضا الآخرين عنها.

ج - مستوى الطاقة:

مستوى الطاقة يعني " القوة الداخلية التي تحرك صاحبها وتجعله قادرا على التحمل والصبر، وإتيان الأمور المهمة على طول الزمن، وتغير الأحداث، وهي استعداد خاص، بمواهب جسدية ونفسية وعصبية ثم دربة وتجلد، حتى يصل الإنسان إلى أقصى ما يستطيع... " (الجابري، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١١٣).

فلابد أن تعمل التربية على تنمية قدرة المرأة على الوقوف مع الحق في وجه الباطل، والقدرة على العمل الدءوب المستمر، والقدرة على التعامل مع مختلف المواقف التي تمر بها داخل الأسرة والتي تحتاج منها إلى اتخاذ قرارات تلو أخرى، ومواقف حاسمة ... إلخ " ومن جرب اتخاذ القرارت في الأمور البسيطة وما يحتاجه ذلك من استعداد ودأب ونصب حينما تشتهي النفس هذا الأمر، وحين تبغضه تبعا لأحوال السرور والكدر، والقرب والبعد، والاطمئنان والخوف؛ يعلم عظم هذا الأمر " (الجابري، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١١٣).

د - النضج العاطفي:

وهو يتكون من القدرة على التوازن التي تتحقق من خلال ضبط العواطف ساعة الفـرح المطغي، أو الحزن المبكي، بحيث لاتمنع المرأة من استخدام العقل والحكمة بقدر المستطاع.

وسرعة نضج العواطف تأتي من خلال التجارب التي ينبغي على التربية أن تهتم بتعريض المرأة المسلمة المعاصرة لها لتخوضها وتتعلم منها، فتنتصر في حالة الثبات، وتنهزم في حالة التراجع أو الضعف، لكنها في كلتا الحالتين تتعلم ما ينفعها في مستقبل حياتها.

هـ – المهارات اللازمة:

فلكل باب من أبواب القيادة مهارات خاصة، لايمكن أن ينجح بدونها القائد.

(الجابري، ١٤١هـ/ ١٩٩٤م، ص ١١٥). وبالنسبة للمرأة فهناك كثير من المهارات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي ينبغي على التربية أن تهتم بتكوينها لدى المرأة المسلمة المعاصرة.

فمثلا **من بين المهارات الاجتماعية**: إحسان الاستماع والإقناع والتفاعل والتعاطف والاتصال بالآخرين.

ومن بين المهـــارت الفكريـــة: القدرة على الفهم، النظر المستقبلي والقدرة على الموازنة بين الأمور.

و – القدوة:

وهذه أهم صفات القائد، فلابد أن تكون للمرأة المسلمة المعاصرة أسوة بالرسول ﷺ الذي لم يكن يسير أموره من خلال الأمر، رغم أنه الرئيس والقائد والنبي والمرشد للصحابة رضوان الله عليهم، ولكنه كان يسيرها من خلال القدوة وطلب المشورة، حيث يبدأ بنفسه في تطبيق أي أمر يأمرهم به، كما أنه كان يكل الناس إلى ضمائرهم، حيث يقول ﷺ فيما روته أم سلمة رضي الله عنها : " إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها " (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٣، الشهادات/ ٢٧، ص ١٦٢).

ز – التأثير على التابعين:

بحيث تمتلك المرأة القدرة على تنمية مهارات أفراد أسرتها وطاقاتهم؛ وذلك من خلال قراءة الكتب والاستماع إلى سير وتجارب الآخرين. ونجد التربية النبوية تعتمد على القيمة الذاتية للفرد فتعامله على أساسها؛ فقد ولى الرسول ﷺ أسامة رضي الله عنه قيادة الجيش وهو في الثامنة عشرة.

فلابد أن تعمل التربية على تنمية قدرات المرأة المسلمة المعاصرة بما يمكنها من معاملة كل فرد من أفراد أسرتها بحسب قدراته وطاقاته.

فهذه هي أهم الصفات التي تساعد المرأة المسلمة المعاصرة على استعادة شخصيتها

الإسلامية المفقودة والتي لو استعادتها لاستعاد الرجل شخصيته، باعتبارها المربية الأولى، وبذلك تسهم المرأة في إخراج الأمة المسلمة من التخلف الذي ترسف فيه.

٣- حمايتها من التقليد والتبعية للآخرين:

تنبه آيات القرآن الكريم إلى حقيقة المكانة التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى لأمة الإسلام، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة:١٤٣].

وفي تفسيره لمعنى هذه الآية يشير الأستاذ سيد قطب إلى أن الأمة الإسلامية هي وسط بكل ما في الوسطية من معاني الفضل والقصد والاعتدال والتوسط ماديا ومعنويا. فهي وسط في التصور والاعتقاد، فلا تطرف روحاني ولا مادي. وهي وسط في التفكير والشعور، فلا تجمد على ما عملت ولاتقلد كل جديد. وهي وسط في العلاقات فلا تبالغ في الفردية ولا في الاجتماعية، بل توازن بين كل ذلك (سيد قطب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مج١، ص ١٩١).

فهذا التوازن هو الذي يحقق للأمة الإسلامية تميزها بين غيرها من الأمم.

وإذا ما نظرنا إلى مجال التقليد الذي يشيع في حياة المرأة المسلمة المعاصرة؛ لوجدنا أن التربية الإسلامية تعطي الأولوية للمبدأ الأخلاقي ثم يأتي الجمال بعد ذلك، ومن هنا تبدو خطورة التقليد والتبعية من قبل المرأة المسلمة للآخرين، إذ فيه إشارة إلى أنها تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ونجد التوجيهات النبوية تحذر من ذلك حيث يقول الرسولﷺ فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: " من تشبه بقوم فهو منهم." (أبو داود، د.ت، ج٣، رقم / ٤٠٢٣، ص٤٢).

فالتشبه مدعاة لأن تخرج المرأة المسلمة من دائرة الإسلام إلى دائرة الآخر الذي تتشبه به، في حين أن الإسلام يحرص على تميز الشخصية المسلمة في كل شيء، حتى في التحية. فقد روى عمران بن حصين رضي الله عنه " قال: كنا نقول في الجاهلية: أنعم بك عينا وأنعم صباحا، فلما كان الإسلام نهينا عن ذلك... " (أبو داود، د.ت، ج٤، الأدب / رقم ٥٢٢٧، ص ٣٥٧).

كذلك فإن الإسلام حريص على حماية ثقافة الأمة، وعلى تحرير المسلم من عقدة

النقص أمام الآخرين، حيث نجد التوجيهات القرآنية تنبه المسلم إلى مكانته بين الآخرين، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]، وأن مهمته تتمثل في إنقاذ العالم من ضلاله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة:١٤٣].

ومن ثم فإنه لاينبغي لمن كانت هذه مكانته أن يقلد غيره.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى تلمس مظاهر التقليد التي تبدو في حياتها والتي تعبر عن الانهزام وفقدان التوازن في الشخصية الذي يجعلها لا تميز بين ما يجب أن تترك وما يجب أن تأخذ، وأن تعمل على إعادة بناء شخصيتها على أسس صحيحة، لتجيء متميزة في الشكل والمضمون. وأهم السبل التي تساعد التربية على حماية المرأة المسلمة المعاصرة من الانجراف وراء تقليد الآخرين، هو الحفاظ على فطرتها سليمة من التشوه كما أودعها الله سبحانه وتعالى فيها.

وللتعرف على كيفية تحقيق ذلك نحتاج إلى التعرف على معنى الفطرة أولا.

معنى الفطرة:

لغــة: الخلقة (الرازي، د. ت، ص ١٨٦)، ويذهب الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠] إلى أن المقصود بالفطرة هو ما خلق الله عليه البشر من قدرات تؤهلهم للاستدلال عليه من خلال آياته المشهودة في الكون، ومن ثم الإيمان به والسعي لمعرفة شرعه واتباعه. وأن هذا هو المتفق مع قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ [الأعراف:١٧٢]. فالآية الكريمة تدل على إقرار الخلق بالربوبية لله سبحانه وتعالى، (القرطبي، د.ت، ج٤، ص ٢٩) كما أنها تشير إلى أهلية فطرتهم لإدراك ألوهيته سبحانه وتعالى وحاكميته للكون (المودودي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٩- ٢٠).

إلا أن الفطرة المودعة في نفس الإنسان يمكن أن يلحقها التشوة والانحراف وذلك إذا ما اكتفى الإنسان باستدلالاته العقلية القاصرة، والتي تعجز عن تجاوز دلائل الوجود إلى الخالق، الأمر الذي يجعل الإنسان ينتكس عن إنسانيته، ويتوجه بالعبودية لغير الله من

أشياء وأشخاص تزيده ضلالا وغواية (المودودي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٦).

وانحراف الإنسان عن سلوك الفطرة ومتطلباتها من إخلاص العبودية لله؛ يؤدي حتما إلى إحداث تمزق في نفس الإنسان، مما يشتت اتجاهاته نحو أرباب عدة. ولأن قدرة الإنسان غير مؤهلة لتحمل هذا التمزق؛ لذلك نجده في النهاية يصاب بالشعور بالإحباط، ومن ثم التخبط في مهاوي الفساد التي ترديه إلى أسفل سافلين.

وانحراف الفطرة وتشوهها يكون بقدر الانحراف عن غايتها، فقد يكون بسيطا إذا تسبب فيه قصور الإدراك البشري أو الضعف البشري تجاه الأهواء و الرغبات العابرة. لكنه قد يحرف الفطرة كليا فتصبح مسخا آخر عندما يصل بها الانحراف إلى رفض الغاية الأساسية من وجودها. وإلى حقيقة هؤلاء أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

فقد وصف الله سبحانه وتعالى منحرفي الفطرة بالغفلة؛ لأنهم عطلوا ما زودهم الله به من مؤهلات حسية من سمع وبصر وفؤاد وعقل، والتي تؤهلهم لمعرفته وإدراك ألوهيته، ومن ثم خضعوا لغيره، وانحدروا بذلك إلى منزلة الأنعام إن لم يكن أدنى.

فلابد من تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بحقيقة الفطرة التي أودعها الله في نفسها، وكيف أن خروجها عنها من خلال تبعيتها العمياء وتقليدها للآخرين عن غير وعي؛ يجعلها في مرتبة الحيوان حيث تسلم قيادها للأهواء والشهوات، في حين أن التوجه الخالص لله سبحانه وتعالى يعمل على الحفاظ على الفطرة، ومن ثم يتحقق لها التوازن النفسي الذي يوفر لها الأمن والاطمئنان.

ولأن فطرة المرأة قابلة للتشوه والانتكاس؛ فإنه لابد من الحرص على تزكية نفسها باستمرار من أجل إزالة ما يعلق بها من شوائب. **والتزكية** تعني تغيير ما بالنفس وهو الأمر الذي ربط الله بينه وبين تغيير أحوال الأمم، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

ونجد في السنة النبوية أن الرسول ﷺ قد عمل على تزكية نفوس أصحابه مهتديا بما أتاه الله سبحانه وتعالى من الكتاب والحكمة، ولنا فيه ﷺ أسوة حسنة، بحيث نستلهم من

سلوكهﷺ ما يعيننا على فهم النفوس وسبل تغييرها؛ بحيث نتأمل في المواقع التي أمر فيها بالابتسام، والتي أمر فيها بالتواضع والتي أمر فيها بالإعراض؛ وكيف كان يربي بالمقاطعة، وبالنظرة، وبالحب. كيف ربى أنسا رضي الله عنه لمدة عشر سنوات دون أن يوجه إليه لوما (لحام، من هدي سورة عمران، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٠٧-٢٠٨).

ويفيد في تزكية النفس توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية مراقبة سلوكها بما يجعلها دوما تسير في طريق الاستقامة، سيما وأن الإسلام يعود أتباعه على الأمانة في كل حال؛ في العبادات والمعاملات، وذلك من خلال محاسبة النفس عن طريق العبادة، حيث نجد القرآن الكريم يتضمن كثيرا من الأساليب التي يوجه بها خطابه إلى الفرد المسلم، ومن بينها الترغيب والترهيب؛ ليجعل الإنسان يتحرى الحق في كل ما يفعل، ويستحي من نفسه إذا ما قصر أو أخطأ، بل وقد يعرض نفسه للعقاب كما حدث مع الغامدية التي ارتكبت فاحشة الزنا.

ومن وسائل التزكية التي يمكن أن تستخدمها التربية؛ تذكير المرأة دوما بالموت، الذي هو أثر القهر الإلهي، مما يجعل المرأة تندفع إلى القيام بحقوق الله والإخلاص في أداء مـا عليها من مسئوليات.

وهنا لابد من التنبيه إلى أن قصر الأمل في الدنيا لا يحول دون تحقيق الخلافة في عمارة الكون بل إن " عمارة الدنيا مع قصر الأمل تكون أقرب إلى العبادة، إن لم تكن عبادة خالصة، ففارق بين من يعمل بالسياسية قياما بحق الله، وبين من يعمل فيها من أجل شهوة النفس " (حوي،١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٣١).

وبصفة عامة فإنه يمكن القول إن وسائل تزكية النفس هي " الأعمال التي تؤثر تأثيرا مباشرا في النفس؛ بأن تشفيها من مرض أو تخرجها من أسر، أو تحققها بخلق. وقد يجتمع هذا كله في عمل؛ فأداء الصلاة مثلا يخرج الإنسان من التكبر على الله رب العالمين، وفي الوقت نفسه تنور الصلاة القلب، فينعكس ذلك على النفس أن تترك الفحشاء والمنكر ". وأعمال الإسلام كلها يمكن أن تدخل في مثل هذا، بحيث تترك أثرها في النفس وتخلصها من مرض أو تتحقق بمقام إيماني أو خلق إسلامي (حوي، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ٣٣-٣٤) .

٤ – القضاء على جميع ممارسات العنف ضدها:

جاء الإسلام لكي ينتصر للإنسان؛ ويخرجه من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وتمثل المرأة أهم العناصر البشرية التي وقع عليها الظلم والاضطهاد عبر التاريخ؛ لذلك وجدنا الإسلام ينتصر لها وينصفها ويحررها ويعيدها إلى المرتبة اللائقة بها باعتبارها خليفة في الكون.

إلا أن المسلمين لم يتبعوا توجيهات الإسلام في معاملة المرأة المسلمة، والنظر إليها من منطلق الإنسانية التي تجمع بينها وبين الرجل؛ حيث نجدهم سرعان ما انحرفوا في معاملتهم لها عن هدي الإسلام، فحرموها أبسط الحقوق التي كفلها لها الإسلام، ومارسوا عليها أشكالا من العنف المادي والأدبي.

وسوف نحاول فيما يلي أن نوضح دور التربية في القضاء على بعض ممارسات العنف ضد المرأة والتي تشيع في المجتمعات الإسلامية وهي:

– التمييز بين الذكر والأنثى.

– النظر إلى المرأة كجسـد.

أ – التمييز بين الذكر والأنثى:

على الرغم من أن الوأد الجسدي قد انتهى مع مجيء الإسلام، إلا أنه لم ينته فعليا؛ بل اتخذ أشكالا أخرى، ظل من خلالها حقيقة واقعة في صورة وأد نفسي، ووأد تربوي.

و**الوأد النفسي** يتمثل في تفضيل الذكر عليها في كل شيء، منذ الولادة، حيث نجد الفرحة بولادة الذكر تفوق كثيرا الفرحـة بولادة الأنثى لدى الكثيرين.

وتؤكد نتائج الدراسات التي أجريت في بعض البيئات الإسلامية؛ أن التمييز بين الذكور والإناث يبدأ منذ الولادة، حيث تواجه ولادة الأنثى بعدم التقبل من الأسرة؛ لأن إنجاب الذكر يعزز من مكانة المرأة عند زوجها، ويعزز مكانة الرجل في المجتمع. وقد يعرض إنجاب الأنثى المرأة للطلاق أو لأن تهجر هي بناتها. ويستمر التمييز بينهما عبر

مراحل النمو المختلفة؛ حيث تمنع البنت من ممارسة حريتها في اللعب واللهو، من أجل القيام بأعمال المنزل وهي في سن صغيرة، في حين يسمح لأخيها بممارسة هواياته المختلفة، ويحظى بإعجاب أفراد الأسرة وتشجيعهم. هذا إلى جانب أن المولودة الأنثى لا تتلقى العناية الصحية والغذائية اللازمة؛ مما يجعل نسبة وفيات البنات أعلى من الذكور في السنة الأولى من الولادة في بعض البيئات (المرأة العربية - واقع وتطلعات، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٨١- ١٨٢).

ويلاحظ أن الناس في غمرة فرحتهم بالذكر وحزنهم بالأنثى ينسون قول الرسول ﷺ: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، علم ينتفع به، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له" (الدارمي، د.ت، ج١، ص١٣٩). والولد الصالح هنا يشمل الذكر والأنثى. لكن الآباء يفرحون بولادة الذكور ليس لرغبتهم في صلاحهم، أو قيامهم بأعمال لا تستطيعها النساء مما يحفظ لهم ذكرا في الدنيا والآخرة، وإنما لرغبتهم في الحفاظ على اسم العائلة، ومواصلة ما بدأه الآباء من أعمال أو صناعات.

وهكذا تتبدى العصبية القبلية التي نهى عنها الإسلام في أبشع صورها، لتدفع بالأفراد إلى مخالفة توجيهات الإسلام في معاملتهم للأنثى.

وهناك ما يشير إلى أن المرأة أكثر تطرفا في تفضيلها لإنجاب الابن الذكر، والسبب في ذلك يعود إلى أنه في كثير من البيئات؛ مازالت قوة الأسرة تقاس بعدد أبنائها من الذكور؛ ولذلك فإن المرأة لا تستطيع أن تأخذ وضعها الاجتماعي والنفسي إلا بعد إنجاب الابن الوارث (الباز في المستقبل العربي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ع ١٢٠، ص ١١).

وقد يكون الدافع إلى تفضيل المرأة للابن الذكر؛ هو موقف الرجل الذي يتعسف مع زوجته إذا ما أنجبت له أنثى، فيأتي موقف الأم كنوع من الإسقاط بسبب عدم قدرتها على مواجهة الرجل.

ومن الأسباب التي تدفع بكثير من الناس إلى تفضيل الذكور، ما كبدوه لأنفسهم من مشاق تقليد الآخرين في تجهيز البنات عند زواجهن، إلى جانب رغبتهم في الحفاظ على

إرث العائلة – إذا ما كانت غنية– من أن يتبدد إلى عائلة أخرى بعد زواج البنت.

ويؤكد بو علي ياسين أن تفضيل الذكور خاصة من قبل الأم، إن كان له ما يبرره في السابق أملا في أن يحميها عندما تكبر من تعسف الزوج أو العدوان الخارجي المحتمل أو إعالتها عند اللزوم؛ فإنه لم يعد مبررا الآن بعد أن أصبحت الفتاة تمتلك نفس القدرة على إعالة الأم[1]، وربما أفضل بحكم العاطفة (ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٣٧).

وتشير الدراسات إلى أن التمييز بين الذكور والإناث، يعود بكثير من الآثار الضارة على نفسية البنت. **ومن بين تلك الآثار**[2]:

١– أن إيثار الولد على البنت قد يجعلها تشعر بحقارتها وقلة شأنها، مما يجعلها غير قادرة على إحسان تربية أولادها، فكيف تربيهم على العزة والعدل، وهي لا تعرف هذه الحقوق في نفسها.

٢– أن اهتمام الوالدين وتفضيلهم لأحد الأبناء قد ينتقل إلى الأقرباء مما يعود بالضرر الكبير على البنت.

٣– أن التفرقة في المعاملة قد تؤدي إلى نتائج خطيرة نفسيا وسلوكيا وأخلاقيا، من بينها عقوق الوالدين. وقد نبه الرسول ﷺ إلى ذلك بطريق غير مباشر في قوله: "رحم الله والدا أعان ولده على بره " (العجلوني، د.ت، ج١، ص٤٢٧).

---

(١) والأب في بعض الأحيان .

(٢) انظر في ذلك: (الإستانبولي، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م– ابن عمر ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٣٦)– (حماد، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م، ص ١١٥)– (مصطفى السباعي،١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م، ص ١٣٤)– (راجح، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص١٢١) – (إسماعيل، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢٨٤) – (زكريا إبراهيم، د.ت، ص ٤١، ص ٤٨) – (ورقة عمل عن ندوة توفير التعليم الأساسي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٩).

٤- أن إيثار بعض الأبناء دون غيرهم قد يولد بينهم العداوة والحقد والحسد[٣]، إلى جانب العقد النفسية وغيرها من الأمراض التي قد تصل بالأبناء إلى حد الانحراف.

٥- الشعور بالظلم مع الضعف والمهانة قد يولد لدى البنت الحقد والرغبة في الانتقام، ولن تجد أمامها سوى زوجها وأولادها.

٦- إيثار الابن قد يولد لدى البنت اتجاها نحو كره الذات، مما ينعكس أثره على سلوكها تجاه الآخرين؛ لأن من كره ذاته كره غيره.

٧- قد تبذل البنت جهودا كبيرة من أجل تصحيح نظرة العائلة إليها، فإذا لم تفلح؛ فإنها لا تلبث أن تتحقق بأن الذنب في ذلك يعود إلى " جنسها الضعيف " الذي تنتمي إليه، ومن ثم تعود باللائمة على القدر الذي جعلها أنثى، وذلك بسب ما تعانيه من دونية تجاه الذكر.

٨- تفضيل الذكر على الأنثى يعيق حاجتها إلى الأمن وإلى الانتماء، وإثبات الذات، وهي حاجات أساسية يؤدي فقدانها إلى القلق النفسي وإلى كثير من العادات السيئة وأساليب السلوك غير السوي.

ونجد الملتقيات العالمية التي تهتم بالمرأة تؤكد على أهمية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، لما يترتب على ذلك من آثار خطيرة في المجتمع، فقد أشارت وثيقة مؤتمر بكين في الفقرة ٢٥٩ إلى " أن من يعيش من البنات حتى سن البلوغ أقل من عدد البنين، ومن أسباب ذلك ممارسات التفرقة بين الذكور والإناث والتي تشمل أمورا كثيرة، منها التمييز ضد البنات في توزيع الطعام وغير ذلك من الممارسات المتصلة بالصحة والرفاه " (وثائق مؤتمر بكين في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع٦١٤٧).

وهكذا يترك أفراد من المسلمين قيادهم للأهواء والشهوات تستعبدهم وتجعلهم

(٣) فتاة في الرابعة من عمرها عمدت إلى قتل شقيقيها الأصغر منها والذين كانا يستأثران بحب وحنان والديها، فقررت معاقبتهما على طريقتها بسبب الغيرة، حيث ألقت بهما أرضا وضربتهما ضربا شديدا على الرأس حتى فارقا الحياة (مجلة الإصلاح، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ع ١١٥، ص ٣٧).

غافلين عن واجبهم في تحقيق العدل والإحسان في معاملة أبنائهم، ويغفلون عن المعيار الحقيقي للتفاضل وهو التقوى، ويرفضون التسليم لأمر الله وقضائه في تقسيمه للأولاد، فهو الواهب للذكور والإناث، ولو شاء منعهم جميعا: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى:٤٩، ٥٠].

ونجد الرسول ﷺ يرغب في الأنثى بقوله: " من ابتلى من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار " (ابن حنبل، د.ت، ج٦، ص٣٣).

كذلك فإنه ينبغي على التربية أن تهتم بالقضاء على جميع أشكال **الوأد التربوي** الذي يمارس ضد المرأة والمتمثل في قلة فرص التعليم المتاحة أمامها في كثير من البيئات، وانعدامه في بعضها، وكذلك عدم الاهتمام بتقديم نوعية من التعليم تأخذ بعين الاعتبار إمكانات المرأة وقدراتها واستعداداتها.

فعلى الرغم من الحقيقة التي يؤكدها علم وظائف الأعضاء من أن البنات أسرع نضجا من البنين؛ إلا أن المؤسسات التربوية تأبى الاعتراف بهذه الحقيقة حتى الآن، حيث نجدها تقدم للنوعين ذات المناهج في سائر المراحل التعليمية، ونجد آثار هذا الغبن واضحة جلية في حياة المرأة، حيث أسهمت نظم التعليم في تأخير سن الزواج عن وقته الملائم، كما أسهم تجهيلها بشئون المنزل - لانشغالها بالدراسة - في عجزها عن أداء مسئولياتها بإحسان وإتقان (محمد قطب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ص ٢٤٨- ٣١٩).

ب - النظر إلى المرأة كجسد:

ما من شك في أن الفطرة السليمة ترفض انكشاف العورة؛ ولذلك وجدنا آدم وحواء يسارعان إلى سترها حالما انكشفت، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

[الأعراف:٢٢].

ونجد أن انكشاف سوأتي آدم وحواء، قد حدث بسبب الشيطان الذي استطاع إيقاعهما في الغواية، فوقعا فيما نهيا عنه من أمر الله؛ ولذلك وجدنا آيات القرآن الكريم تحذر بني آدم من فتنة الشيطان وإغوائه كما فعل بأبويهما. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾ [الأعراف].

والعالم الغربي نتيجة لغفلته عن حقيقة علاقته بالله سبحانه وتعالى لا يدرك هذه الحقيقة؛ ولذلك نجده قد عمل ويعمل جاهدا على سلب المرأة خصائصها الفطرية والإنسانية، حتى أنه قد جارى الشيطان في أهدافه حين اتخذ من المرأة سلعة تباع وتشترى، واتخذ من جسدها معرضا من أجل إثارة الغرائز البهيمية لدى الذكور.

فالعري- كما يقول سيد قطب- " فطرة حيوانية تشير إلى انتكاس الإنسان في ذوقه، وهذا ما تردت إليه الحضارة المعاصرة " (سيد قطب،١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، مج ٣، ص ١٢٧٥)، التي نجدها قد ساقت المرأة - بدعوى الحرية – إلى البروز في كل مجال، خاصة في مجال الفن الحسي، وذلك من خلال استغلال مفاتنها لإثارة الجنس البشري.

ونجد القائمين على شئون الفن يحرصون على انتقاء أجمل النساء من أجل الإغراء والإثارة لجلب الجمهور الذي لا يهمه سوى إثارة مشاعره والتمتع بأنوثة المرأة. (النقار، د.ت، ص ١٠٤-١٠٨)

وقد بدت حرية المرأة المعاصرة - المزعوم أنها قد نالتها في ظل الحضارة المعاصرة - أكثر تفسخا وتهورا؛ وذلك في شكل الرقص من قبل المرأة وهي شبه عارية في الملاهي والأندية والحفلات من أجل إثارة الناظرين.

وهناك أيضا الغناء ومسابقات ملكات الجمال اللاتي يفتخرن برشاقة أجسادهن، حتى وصل الأمر بالمرأة إلى الرضا بأن تكون ملكة جمال الخضراوات والمأكولات[1]

(١) قدمت مندوبة يابانية في منتدى عالمي للمرأة احتجاجا ضد مسابقات الجمال... قائلة إنه ليس للرجال أي حق في تحديد معايير جمال المرأة. وقالت اياكو ياماجوتشي في كلمة في قاعة بإحدى ضواحي بكين: أي حق للرجال في تحديد الأفضل من جمال المرأة وأي حق للرجال في تقييم المرأة في بضع دقائق. وأضافت: " كل النساء جميلات.. مفهوم الجمال يختلف من شخص لآخر. ودعت ياماجوتشي ومجموعتها من ساكاي في

(النقار، د.ت، ص ١١٠).

ونجد أن الشيطان قد تمكن من إغواء المرأة المسلمة لتنجرف في طريقه وتهبط باسم الفن - في تبعية عمياء للغرب - لتقع في أيدي تجار الرقيق المعاصرين الذي يجلبون الفتيات بشتى المغريات المادية، ويوظفونهن من أجل إرضاء اللذة الحرام والكسب الحرام من وراء عرض أجسادهن(٢).

فينبغى في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بغرس أهمية الالتزام بالقيم الأخلاقية المستمدة من مبادئ الإسلام في نفسها، وتنمية الاعتزاز بانتمائها إليه لديها، لما يحققه التزامها به من تسام عن الإسفاف في استعمال الغرائز.

كما ينبغي الاهتمام بتنقية وسائط الثقافة في المجتمع المسلم مما يشوبها من شوائب بحيث تصفى لتكون معينة لبرامج التربية الرسمية في تحقيق أهداف التربية الإسلامية.

ولابد من تنبيه أفراد المجتمع المسلم بصفة عامة والمرأة المسلمة المعاصرة بصفة خاصة؛ إلى عظم جرم من يمتهن إنسانية المرأة فيتخذ من جسدها ألعوبة يتلهى بها، وتوجيه انتباههم إلى حكمة الإسلام في سد مسالك الفتنة من أجل الحفاظ على أمن المجتمع وطهارته، حيث نجد الخطاب يتوجه لنساء النبي رضي الله عنهن بصفة خاصة، ولنساء المؤمنين عامة، بالنهي عن الخضوع في القول، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ [الأحزاب].

إن نعومة صوت المرأة عن صوت الرجل حقيقة ملموسة، ولأن الانجذاب بين الذكر والأنثى حقيقة أيضا؛ لذلك فقد وجدنا التربية الإسلامية تحرص على وضع

غرب اليابان الحاضرين إلى التوقيع على التماس ضد مسابقات الجمال.. ووقع نحو ١٠٠ شخص خلال الساعة الأولى. " (اجتماع ضد مسابقات الجمال .. الثورة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ١١٢٥١).

(٢) تقول إحدى الراقصات ممن من الله عليهن بالهداية : " أعيش مع ابني وزوجي ترافقني دموع الندم على أيام قضيتها من عمري بعيدا عن خالقي الذي أعطاني كل شيء. ولم أعطه أي شيء. إنني الآن مولودة جديدة... أشعر بالراحة والأمان بعد أن كان القلق والحزن صديقي رغم الثراء والسهر واللهو!.. وتضيف: =

= "... قضيت كل السنين الماضية صديقة للشيطان، لا أعرف سوى اللهو والرقص، أمتع الناس... كنت أعيش حياة كريهة حقيرة... كنت دائما عصبية.. الآن أشعر أنني مولودة جديدة.. أشعر أنني في يد أمينة تحنو علي وتباركني، يد الله سبحانه وتعالى " (المجلة العربية، ع١٤٠، ص ٨ عن معبر، د. ت، ص ٤٦).

الضوابط التي تحفظ للمجتمع توازنه ونقاءه.

يقول الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية:

"..... أمرهن الله أن يكون قولهن جزلا، وكلامهن فصلا، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين، لما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه، مثل كلام المريبات والمومسات. فنهاهن عن مثل هذا وذلك لئلا يطمع من في قلبه تشوق للفجور والفسق والغزل "(القرطبي، د.ت، ج١٤، ص ١٧٧).

فهو سبحانه وتعالى يعلم أن في صوت المرأة حين تخضع بالقول فترقق كلامها ما يثير الفتنة في قلوب ذوي النفوس المريضة؛ ولذلك أمرهن بالحديث بأسلوب بعيد عن أن يكون مدخلا لما يخشى منه (سيد قطب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٥، ص ٢٨٥٩).

فلابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من الحرص على غرس قيمة التقوى في نفسها والتي تجعلها ترتقي إلى مرتبة الإحسان فلا تظلم نفسها بالوقوع فيما حذرها الشارع منه.

٥- تدعيم صمود المرأة أمام الابتلاءات:

وأهم ابتلاء تتعرض له المرأة في هذا العصر يتمثل في العنوسة التي تحرمها من إشباع حاجة مهمة من حاجاتها النفسية.

لقد حرص الإسلام على تشييد البناء الأسري على أسس متينة من الدين والخلق القويم، ومن ثم وجدناه يحث الرجل حين إقدامه على الزواج على اختيار ذات الدين، الأمر الذي يجعل النساء جميعا على قدم المساواة من حيث فرص الزواج وتكوين الأسرة بصرف النظر عن الشكل أو اللون أو الحسب... إلخ..... حيث إن الدين وحسن الخلق أمر يمكن لأية امرأة أن تتحلى به إذا ما أرادت.

يقول الرسول ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: " لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل" (ابن ماجه، د.ت، ج١، النكاح / ٦، ص٥٩٧).

ومما يؤسف له أن كثيرا من الأولياء يعمدون مع بناتهم إلى ما هو أقسى من الوأد الذي كانت تفعله الجاهلية؛ وذلك بعضلهم لهن، والامتناع عن تزويجهن، مما يحرمهن حقهن في قضاء حاجتهن الفطرية إلى الزواج والأمومة؛ الأمر الذي يعود عليهن بالألم النفسي إن لم يجرفهن الشيطان في طريقه.

وقد أدى ذلك الى ارتفاع نسبة العنوسة بين الفتيات وأصبحت العنوسة – كما يقول بوعلي ياسين – تمثل " مسألة منغصة تدعو إلى الاتهام من قبل الآخرين، وإلى الإحساس بالنقص من قبل الفتاة " (ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٨١).

أسباب العنوسة:

ترجع العنوسة أساسا إلى الابتعاد عن هدي الإسلام في الزواج، والذي يبدو مظاهره في كثير من الأمور من بينها:

أ- المحافظة على الثروة:

فأهل الفتاة قد يعمدون إلى منع تزويجها بالكفء حتى لا تنتقل ثروة العائلة إلى عائلة أخرى؛ لذلك نجدهم يفضلون تزويجها من الأقارب خاصة ابن العم، (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٤١) وهذا الحل أيضا يمكن أن يكون سببا من أسباب العنوسة في حالة قلة عدد أبناء العم بالنسبة لبنات العم، أو انعدام الأهلية العلمية، أو الاقتصادية لدى ابن العم للزواج بابنة العم، ومن ثم تترك الفتاة لتواجه مصيرها في العنوسة.

ب – الفهم الخاطئ للحياة:

فقد تعمد الفتاة إلى تأجيل مسألة الزواج لحين الانتهاء من تحصيلها العلمي، فترفض من يتقدم لخطبتها، في حين أن الرجل لدينا- بصفة عامة – مهما بلغت درجة ثقافته وتحصيله العلمي؛ نجده لا يرغب بالزواج من امرأة تشكل ندا له إلا في حالات استثنائية. ونجد كثيرا من الشباب – بل وحتى الكهول – عند زواجهم؛ أول ما يسألون عنه هو عمر الفتاة لا عن ثقافتها أو السنوات الطوال التي قضتها في التحصيل العلمي (ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٨١، ص ٨٩).

وأحيانا ما يكون الانتهاء من التحصيل العلمي شرطا يفرضه أهل الفتاة، فنجدهم يرفضون من يتقدم لخطبتها حتى تكمل تحصيلها العلمي وتنال شهادة تنفعها؛ " لها

وللزمان."، ولعدم قدرة الفتاة على مواجهة الأهل؛ فإن أثر ذلك قد ينعكس على نفسيتها، مما يجعلها - على حـد تعبير أسعد - " تظل في حرب مع نفسها، ومع غيرها "، وقد تصبح فريسة سهلة للصراع النفسي. (يوسف أسعد، د.ت، ص ١٦٠).

ج - الرغبة في الصعود الطبقي من خلال الزواج:

وذلك بأن تضع الفتاة لنفسها - أو تضع لها أسرتها - مستويات من الطموح تتخلى عنها إن لم تجدها؛ لكن بعد أن يفوتها القطار.

د - الالتزامات الأسرية:

فقد تغض الفتاة النظر عن الزواج لضرورات أسرية، ويفوتها القطار قبل أن تتحرر من التزاماتها، كأن تعيل أهلها الذين لا مورد لهم، أو إخوتها الصغار بعد وفاة المعيل.

هـ - محدودية الاختيار:

وهذه يتسبب فيها المجتمع؛ بحيث إنه إذا ما كانت الفتاة تنتمي إلى أسرة غنية أو عريقة النسب؛ فإنها لا تجد الخطيب، المناسب في حين يسمح لأخيها بالزواج من أسر أقل غنى، أو أقل عراقة.

ز - أسباب نفسية:

وهذه تعود إلى نفور الفتاة من الزواج لأسباب تعود إلى تنشئتها منذ الصغر، أو إلى تجارب الآخرين من حولها.

فمثلا إذا كانت الفتاة تعيش في أسرة يعتدي فيها الأب على الأم، أو لا يكف عن انتقادها، فإن ذلك يجعل مركز المرأة يسوء في نظر الصغيرة. وأحيانا؛ تكون الأم ساخطة على مصيرها زوجة وأما، مما يجعلها تحذر ابنتها من الزواج والأطفال. ورغم أن تعرض الفتاة لمثل هذه الخبرات قد يتم في مرحلة الطفولة؛ إلا أنه يظل عالقا في لاشعورها، إلى أن تجتاز بنفسها مرحلة الزواج والإنجاب (إبراهيم، د.ت، ص ٥٩).

ح - أسباب جسمية:

كالإعاقة، والتشوه، وقلة الجمال، ولون البشرة ..... إلخ.

ط - أسباب أخرى:

قد يسعى الأهل إلى عدم تزويج ابنتهم متعللين بشتى المبررات، لحاجتهم - الحقيقية أو المفتعلة- لدخلها إذا ما كانت تعمل، أو خوفا من الوحدة بعد زواج البنت في حالة وجود الأم أو الأب وتكون الفتاة وحيدة، أو آخر من بقي من الأبناء بلا زواج. بل إن

الفتاة قد ترفض الزواج إذا ما اعتدي على حريتها في اختيار شريك حياتها، كما أن المحافظة على الدين والأخلاق قد أصبحت في المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه اليوم؛ تمثل أحد أسباب العنوسة، حيث ينصرف الشباب إلى الزواج من سافرة يعجبون بشكلها، حتى المتمسك بدينه منهم والذي يمكن أن يشترط عليها قبول الحجاب، ويزعم أنه يكسب بذلك ثواب هدايتها إلى الحق.

وهكذا يحرم عدد لا بأس به من النساء من تلبية حاجاتهن الفطرية التي فطرهن الخالق عليها، بسبب المجتمع الذي يزيد من وطأة الأمر على الفتاة؛ حين يحتقر فيها هذه الصفة التي جعلتها غير جديرة بالعطاء الإنساني.

إن الغريزة الجنسية أمر فطري، تحدث بسببه مجموعة من الانفعالات التي يثيرها النظر والسمع واللمس، إلى جانب ما بداخل الفرد من إفرازات للغدد التناسلية، ينتج عنها آثار وظيفية (فسيولوجية) تترتب عليها الإثارة الجنسية. وهذه الإثارة لا تحدث إذا ما صرف الإنسان فكره عن الجنس إلى أمور أخرى. ولعل هذا هو السبب في أن الفتيات في البيئات التي تتشدد كثيرا في محافظتها على البنات دون البنين، يتفوقن في التحصيل الدراسي على البنين، حيث تستهوي الشباب أمور أخرى تصرفهم عن الدراسة (محيي الدين، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص ٥٨).

وحتى يعود المجتمع إلى هدي الإسلام في موضوع الزواج؛ فإن الواقع يفرض على التربية أن تسهم في توعية جميع أفراد المجتمع بالأخطار الكامنة وراء الابتعاد عن ذلك في أمر الزواج، وأن تعمل في الوقت نفسه على الارتقاء بنفسية الفتاة المسلمة المعاصرة عن أن تهبط إلى مستوى لا يليق بها في الفكر أو السلوك. ويتحقق ذلك من خلال حرص التربية على غرس العقيدة الصحيحة في نفس المرأة المسلمة المعاصرة منذ الصغر بما يمكنها من الصمود أمام الابتلاءات المختلفة التي يمكن أن تتعرض لها عبر حياتها في هذه الدنيا، ومن بينها العنوسة التي تمثل - كما يقول الأستاذ محمد قطب - لونا من ألوان الحرمان التي يتعرض لها المسلم من أجل العقيدة، التي تدفعه إلى تحمل المشقة والجهد الناتج عن ذلك الحرمان، يبذلها المسلم في سبيل الله، وينتظر عليها الجزاء من الله، وهو على علم بأن الجاهلية هي التي تجهده وتشقيه ببعدها عن منهج الله، لكنه يرضى بدوره في معركة العقيدة؛ حتى يتغير الواقع السيئ الذي يعيش فيه المسلمون (محمد قطب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ص ٢٣٩).

وما من شك في صعوبة ما يطلب من الفتاة في ظل الضغط على الأعصاب بسبب دفعة الجنس الفوارة وبعد الأمل في الزواج وشتى أنواع المثيرات التي تحفل بها البيئة، مما يؤكد أهمية دور التربية في تقوية البناء النفسي للفتاة المسلمة المعاصرة من أجل مقاومة كل ذلك من خلال تعميق إحساسها بالله ليكون حب الله وحب رسوله أثقل في قلبها من ضغط المجتمع، ومن خلال توجيهها إلى شغل وقتها بالطاعات والعبادات والأعمال النافعة التي تستنفذ طاقاتها فيما يعينها على احتمال الجهد،ويسمو بروحها عن الأهواء (محمد قطب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ص ٢٤٠).

خامسا: بعض القضايا التي تهم المرأة المسلمة المعاصرة:

من أهم القضايا التي ينبغي معالجتها تربويا فيما يتعلق بالمرأة المسلمة المعاصرة ما يلي:

١- الزواج المبكر:

يقول الرسول الكريم ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"(ابن ماجه، د.ت، ج١، النكاح/ ٤٦، ص٦٣٢).

ونجد في الواقع المعاش أن من بين الآباء من يسيء تطبيق هذا التوجيه النبوي حيث يعمد إلى تزويج ابنته قبل أو حال البلوغ؛ عن سذاجة وغفلة عن الصواب، أو رغبة في جعل الفتاة قربانا للوجاهة، أو الوظيفة، أو استدرار المال، أو اتباعا للعادات، إلى غير ذلك من الأمور التي تعود بأسوأ النتائج؛ ومن بينها عدم التوافق الزوجي، أو الفرار أو الانتحار من قبل الفتاة إذا ما تم تزويجها بمن لا ترضاه (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ٤٦).

فهذه الممارسات الخاطئة التي يسلكها بعض أولياء أمور الفتيات، قد دفعت بالحكومات في كثير من المجتمعات الإسلامية إلى سن القوانين التي تضمن وصول البنات إلى سن مناسبة. ففي المؤتمر الذي أقيم في الكويت عن المرأة العربية في ديسمبر١٩٧٢ م/ ١٣٩٢هـ، تم تحديد أدنى سن لزواج البنت بـ ١٦ سنة، وفي تركيا حدد بـ ١٧ سنة وفقا لقانون صدر عام ١٩٢٦م/ ١٣٤٥ هـ، لكن عدم تقيد أفراد المجتمع بذلك؛ جعل الحكومة تخفضه إلى ١٥ سنة.

.(Beak and keddie 1978 , pp.54-55)

وبسبب عدم وجود نظام تسجيل تاريخ الميلاد، فإن التأكد من أمر سن الفتاة يعد أمرا صعبا؛ ولذلك نجد الأفراد في أنحاء من البيئات الإسلامية يتجاوزنه، كما في الباكستان مثلا التى حددت السن بـ ١٦ سنة. وتعد الولايات الإسلامية في الاتحاد السوفيتى (سابقا) هى الوحيدة في العالم الإسلامى التي تطبق عقوبات تصل إلى حد السجن، بسبب تزويج الفتاة قبل سن الثامنة عشرة.

.(Beak and keddie 1978, pp.54-55)

وقد وجد العلماء أن الفتاة أسرع نضجا من الفتى بعد سن العاشرة. ونلمس ذلك في الفرق الواضح الذي نجده بين الفتاة والفتى في سن الخامسة عشرة، من حيث رجاحة التفكير، والقدرة على تحمل المسئولية، ويؤكد ذلك الواقع المشاهد في المجتمعات التي يتم فيها تزويج الفتاة في هذه السن؛ حيث نجدها تقوم بأعباء الحياة الزوجية بكفاءة لا يستطيعها شاب في نفس السن (حافظ يوسف، ١٤٠١هـ/ ١٩٩٠م، ص ٩).

ويؤكد العلم الحديث أن الزواج المبكر هو الملائم للفطرة ويشير إلى ذلك الكساس كاريل، في حديثه عن أهمية الزواج المبكر في التقريب بين الأجيال حيث يقول ما نصه:

" كلما قصرت المسافة الزمنية التي تفصل بين جيلين؛ كلما كان تأثير الكبار الأدبي على الصغار أكثر قوة ... ومن ثم يجب أن تكون النساء أمهات في سن صغيرة حتى لا تفصلهن عن أطفالهن ثغرة كبيرة لا يمكن سدها حتى بالحب " (كاريل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢١٥).

إن الزواج المبكر هو المطلوب للبنت باعتبار توجيه الإسلام إليه، إلى جانب موافقته للفطرة، لكن الأمر الذي ينبغي الاهتمام بتوجيه أفراد المجتمع الإسلامي - ذكورا وإناثا - إليه، هو أهمية اكتمال نضج الفتاة الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي، بحيث لا تدفع إلى الزواج قبل أن تكون مستعدة له.

٢- أثر العمل على الصحة النفسية للمرأة المسلمة المعاصرة:

ما من شك في أن المنادين بخروج المرأة للعمل خارج المنزل لتطرق كافة المجالات التي يطرقها الرجل؛ قد قصروا نظرهم في ذلك على الجوانب الاقتصادية فقط من حيث العائد من وراء العمل سواء على المرأة نفسها، أو على أصحاب العمل؛ في حين أنهم قد غفلوا عن المقومات النفسية التي لا يمكن للمرأة أن تحيا بدونها.

ولذلك وجدنا أن خروج المرأة المسلمة المعاصرة للعمل يعود عليها بجملة من الآثار النفسية ومن بينها:

أ – الضغوط النفسية:

إن محاولة المرأة التوفيق بين أدوارها المختلفة داخل المنزل وخارجه عادة ما تبوء بالفشل في تحقيق التوازن؛ الأمر الذي يزيد من انفعالات المرأة وعصبيتها، وأحيانا قد تتمكن من تحقيق قدر من التوافق، لكن أثر ذلك ينعكس على سلوكها مع الآخرين. وذلك لأن المرأة حينما تعود من عملها خارج المنزل لا تعود لترتاح، وإنما لتستأنف العمل داخل المنزل.

وتورد زهور الأزرق وصفا لحالة المرأة إثر عودتها إلى المنزل لاستئناف العمل فيه ، في جو يزيد من قلقها؛ لأن المطلوب منها العمل بسرعة حيث الكل جائع، والمفروض أن يجدوا كل شيء معدا على المائدة، وفي نفس الوقت تحتاج ملابس الزوج أو الأطفال إلى غسل أو كي لأنهم في حاجة ملحة إليها، وفي بعض الأحيان يلقي الزوج عليها بلائحة ملاحظاته عن إهمالها، وعدم قدرتها على أن تكون " زوجة مثل الأخريات. "، إضافة إلى احتمال قدوم ضيوف دون موعد، أو مرض أحد أفراد الأسرة. وتتحمل المرأة، وتتحمل.. لكنها في النهاية تصاب بأمراض لا أساس لها سوى الإرهاق والقلق الناتج عنه، وينعكس أثر حالتها الصحية على باقي أفراد الأسرة قلقا وعدم اطمئنان، ويصبح جو الأسرة مسهما في تغذية داء " العصب "؛ أحد أهم مميزات عصرنا الحالي.(الأزرق في مؤتمر المرأة والتنمية..، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٧٦١).

وقد أشرنا سابقا إلى أن نتائج الدراسات تشير إلى ارتفاع حالات القلق والاكتئاب لدى النساء العاملات وأبنائهن، الأمر الذي يلجئهن إلى طرق أبواب العيادات النفسية.

ومن الآثار السلبية التي تنتج عن عمل المرأة خارج المنزل أيضا؛ أن تصبو المرأة العاملة إلى كثير من التطلعات التي تتعلمها من الأخريات، ما لانجده لدى مثيلاتها من ربات البيوت في نفس المستوى الاقتصادي والاجتماعي، ومن ذلك:

ب – الحاجة إلى خادمة:

فهي تحضر خادمة لمساعدتها وتنظر إلى راتبها فقط؛ في حين تغفل عما يصرف على الخادمة من مصاريف الأكل والشرب، والكساء، إلى جانب مصاريف الماء والكهرباء والهدايا في المناسبات، وكلها مصروفات إضافية إلى جانب المرتب الأساسي [1].

(١) وهناك ما يتعلق بالزيادة في الاستهلاك في استخدام المنظفات المنزلية وغيرها مما يلاحظ في البيوت التي تحوي خادمات، وهي ملاحظات تحتاج إلى دراسات للتأكد من صحتها.

ج – حب الظهور:

والذي يدفعها إلى الإنفاق على ملابسها والمواصلات والمجاملات، إلى جانب النمط الاستهلاكي الذي يدفعها إلى مجاراة كل جديد. وبذلك يذهب الجزء الأكبر من راتبها في الصرف على أمور ليست بذات أهمية إذا ما قورنت بالعائد الذي سوف تجنيه من وراء حرصها على مباشرة تربية أولادها ورعايتهم خاصة في سنوات نموهم الأولى. كما أن ربة المنزل تجد كثيرا من الراحة النفسية في استعراض جمالها وملابسها أمام زوجها، في حين أن المرأة العاملة تفقد هذا الشعور لأنها تود التخلص داخل المنزل من الأعباء التي تتكلفها بالزينة خارجـه.

د – فتور المشاعر بين الزوجين:

فالمرأة قد تشعر بالندية والمساواة لإسهامها مع زوجها في الصرف على المنزل. والرجل قد يشعر بعدم قيامه بواجبه في الصرف على أكمل وجـه، حيث يحدث لديه شعور"بفقدان القوامة المالية "، هذا إن لم يتسبب الراتب في حدوث نزاع بين الزوجين[1].

هـ – الشعور بالذنب:

وذلك لأن الأم عادة ما تحمل مسئولية أي خلل يحدث في تربية الأبناء، أو أي ضعف في صحتهم، أو أي نقص في رعايتهم؛ الأمر الذي يدفعها إلى إجهاد نفسها في سبيل تعويضهم عن فترة غيابها. وقد يدفع بها الإحساس بالتقصير إلى الشعور بالذنب، الذي قد يؤدي إلى حالة من عدم الرضا و الفشل [2] (آدم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٦٦).

و – سيادة جو من عدم الاحترام بين المرأة وزوجها أو بينها وبين أهله:

وذلك بسبب لهجـة المـرأة العاملـة المرهقـة حـين عودتهـا مـن العمـل، أو شـعورها بالتضحية من جانب واحد، وهذا قد يؤدي إلى حدوث تفكك داخل الأسرة.

---

(١) هناك كثير من المؤشرات الدالة على أن راتب الزوجة العاملة قد أصبح سببا من أسباب النزاع بين الزوجين، والتي تحتاج إلى دراسات للتأكد منها.

(٢) في تحقيق صحفي أجرته إحدى الصحف مع مجموعة من النساء العاملات عما حققنه من خلال العمل؛ ثارت إحداهن –كالبركان على حد تعبير الصحيفة – وهي تؤكد بعصبية أنها لم تجن سوى التعب وزيادة المصاريف، لأن العمل يتطلب منها جهدا في الصباح مع الأبناء في إعداد الإفطار والملابس، وما ستحتاجه بعد العودة من العمل، ثم إيصال الأولاد إلى المدرسة، مما يجعلها تتأخر عن عملها، وقد تعتبر غائبة. وهي في العمل تظل مشوشة الفكر قلقة على أولادها الذين يعودون إلى المنزل قبلها بساعة. وحالما تعود تبدأ في إعداد وجبة الغداء.(ماذا حققت المرأة من العمل .. في صحيفة الثورة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع١١٢٢٣).

ز – اكتساب المرأة لبعض الاتجاهات السلبية:

كأن يتضخم لديها الشعور بالأهمية نتيجة لما تؤديه من خدمات للمجتمع، ومن ثم يبدو أثر ذلك في قلة اهتمامها بالآخرين وفي مقدمتهم الزوج والأولاد. (آدم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٦١).

ح – امتحان المرأة في أخلاقها:

ففي كثير من بيئات العمل المختلط، تتعرض المرأة لاستغلال أرباب العمل وغيرهم من ذوي النفوس الضعيفة، فمنهن من تنجرف في التيار فتجني على نفسها، ومنهن من تتمكن من فرض احترامها على من حولها، أو تتركه إلى عمل آخر (الأزرق في مؤتمر المرأة والتنمية..، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢، ص ٧٦١).

وللتربية دورها في توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى تحديد موقفها من العمل، وإمدادها بالخبرات والمهارات التي تساعدها على التكيف مع ظروف العمل فيما إذا اضطرت إليه.

٣- بعض الشبهات التي يثيرها المغرضون للقول بدونية وضع المرأة في الإسلام:

يثير المغرضون عددا من الشبهات المتعلقة بالمرأة، ويستشهدون بذلك على دونية وضع المرأة في ظل الإسلام. وسوف نتناول هنا **اثنين** من هذه الشبهات:

أ- ناقصات عقل ودين.

ب- شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل.

أ – ناقصات عقل ودين:

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: " يا معشر النساء... ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن " قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ " قلن: بلى! قال: " فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى! قال " فذلك من نقصان دينها "(البخاري،١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م، ج١، الحيض/ ٦، ص٧٨، ص ٤٢١).

فهذا الحديث يتخذه الكثيرون خاصة من العامة؛ دليلا لاتهام المرأة بنقصان العقل، ومن ثم فلا رأي لها ومشورة. وقد ناقش أبو شقة هذا الموضوع من ثلاث زوايا نورد منها **اثنتين**:

الأولى: أن الحديث قد قيل في يوم عيد، فلا يعقل أن يحط الرسول ﷺ من شأن المرأة وكرامتها في هذه المناسبة البهيجة. إضافة إلى أنه كان في المدينة، ومعظم نسائها من الأنصار الذين روى عنهن عمر أنهن كن يغلبن رجالهن. (البخاري، ١٤٠١ هـ

/ ١٩٨١م، ج٣، ص١٠٤)، وهذا يوضح لماذا قال ﷺ: " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم منكن. "، فهي صيغة أقرب إلى التعبير عن تعجب الرسول ﷺ من التناقض القائم في ظاهرة تغلب النساء وفيهن ضعف، على الرجال ذوي الحزم. أي تعجب من حكمة الله! كيف وضع القوة حيث مظنة الضعف، وأخرج الضعف من مظنة القوة! " لذلك فهذه الفقرة تمهيد لطيف للعظة التي تلتها.... "، وكأنها تقول: أيتها النساء إذا كان الله قد منحكن القدرة على الذهاب بلب الرجل الحازم برغم ضعفكن، فاتقين الله ولا تستعملنها إلا في الخير والمعروف ".

فكلمة ناقصات عقل ودين " إنما جاءت مرة واحدة في مجال إثارة الانتباه، والتمهيد اللطيف لعظة خاصة بالنساء، ولم تجئ قط مستقلة في صيغة تقريرية سواء أمام النساء أو الرجال".

الثانية: هي الدلالة الخاصة لقول رسول الله ﷺ: " ناقصات عقل " فهناك عدة احتمالات للنقص العقلي:

١- نقص (فطري عام) أي في متوسط الذكاء.

٢- نقص (فطري نوعي) أي في بعض القدرات العقلية الخاصة مثل الاستدلال الحسابي، والتخيل والإدراك.

٣- نقص عرضي نوعي قصير الأجل يطرأ على الفطرة مؤقتا نتيجة ظروف طارئة كالحمل والولادة والحيض.

٤- نقص عرضي نوعي طويل الأجل نتيجة ظروف معيشية خاصة.

والذي يترجح بالنسبة لنقصان العقل هنا؛ هو نقصان نوعي نتيجة ظروف معيشية طارئة وخاصة بسبب مسئوليات المرأة المتميزة إضافة إلى انحصارها داخل المنزل وانقطاعها عن الأحداث خارجه، مما قد يتسبب في ضمور وعيها بمجالات الحياة، وضعف إدراكها لقضايا المجتمع. وهنا لابد من الانتباه إلى **ثلاثة أمور**:

أ. أن النقص النوعي في إحدى القدرات الخاصة، يقابله زيادة في قدرات أخرى.

ب. أن النقص هنا يتعلق بالنساء على العموم، وهو لا يمنع وجود بعض نساء ذوات قدرات عالية في نفس المجالات التي ينقص فيها مستوى عامة النساء، كما لا يمنع وجود نساء أفضل من كثير من الرجال.

ج. إذا كان النقص النوعي الفطري أو العرضي نتيجة بعض وظائف الأعضاء مما يعين المرأة على تحقيق مهمتها في الحياة، فإن انعزال المرأة عن المجتمع يمثل خطرا عليها وعلى المجتمع كله، حيث يضعف قدراتها ويمنعها من الإسهام في الارتقاء بالمجتمع (أبو شقة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج١، ص ٢٧٥-٢٧٨).

والذي يغلب على الظن أن الحديث لا يقرر حتمية النقصان، وإنما يذكر أسبابه التي يمكن تعويضها لدى البعض منهن، من خلال العلم والتجربة، واكتساب الخبرات والمهارات. ونجد القرآن الكريم يضرب بآسية امرأة فرعون ومريم عليها السلام مثلا على التفوق في الدين. كما نجد الرسول ﷺ يأخذ بمشورة أم سلمة رضي الله عنها يوم الحديبية. ونجد الصحابة أيضا رضوان الله عليهم يأخذون عن زوجات الرسول عليه السلام في أمور الدين. فكأن الرسول ﷺ أراد توجيه المرأة إلى ما تملكه من قدرات ومواهب تجعلها ذات تأثير كبير على الرجل.

فينبغي الاهتمام في تربية المرأة المسلمة المعاصرة بتنبيهها إلى هذه القدرات وتنميتها لديها، لتوجهها نحو أهدافها بما يعينها على تحقيق العدل والإحسان في أداء مسئولياتها. كذلك لابد من غرس حقيقة وجوب التسليم لإرادة الله سبحانه وتعالى في نفس المرأة، فهو الذي شاء لها أن تكون على هذه الشاكلة، وهو الذي كلفها بمسئوليات بعضها يشابه وبعضها يختلف عن مسئوليات الرجل، ومن ثم فلا مجال للحديث عن نقصان العقل بالمعنى الذي يفهمه عامة الناس، وكما يقول أبو شقة:

" وأيا كان مجال النقص، فهو لا يخدش قواها العقلية، وقدرتها على تحمل جميع المسئوليات الأساسية. ومن هذه المسئوليات ما تختص به، وهو حضانة الأطفال، وهذه ما كان الله ليسندها إلا لإنسان سوي. وما كان لنا نحن الرجال أن نأمن على أبنائنا وبناتنا في كنف إنسان عاجز مختل العقل "(أبو شقة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج ١، ص٢٧٦) .

ب- شهادة المرأة نصف شهادة الرجل:

معنى الشهادة:

لغـــة: خبر قاطع (الرازي، د.ت، ص١١٠).

اصطلاحا: إخبار بحق للغير على الغير بلفظ أشهد.

(أبو يحيى في مجلة كلية الشريعة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ع١٢، ص ٢٦٥).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن شهادة المرأة هي على النصف من شهادة الرجل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾

[البقرة:٢٨٢].

فالآية تدل على وجود نقص فطري أو شبه فطري لدى المرأة في بعض القدرات العقليـة الخاصة، مثل استيعاب قضايا المال والأرقام. وهذا يحدث للمرأة في مرحلة ما بعد البلوغ بتأثير التطورات المتعلقة بالناحية الجنسية في مرحلة الزواج والأمومة من

جانب، ولظروف الحياة الاجتماعية من جانب آخر (أبو شقة ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م، ج١، ص ٢٧٧).

ويؤكد ذلك عصام عميرة بقوله، إن المقصود بنقصان عقل المرأة؛ هو نقصان اعتبار شهادتها؛ وذلك بجعل شهادة امرأتين بشهادة رجل فيما هو من الحياة العامة، حيث يتواجد فيها الرجال عادة أكثر من النساء، في حين أن شهادة المرأة وحدها كافية في بعض قضايا الحياة الخاصة مثل الرضاعة، فليس هناك من نقص في العقل لأن العقل واحد باعتبار الفطرة، وليس هناك من نقص في الدين لأن الدين واحد باعتبار الإيمان (عميرة في الوعي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١١٤، ص ٣١).

ويؤكد ذلك محمد رشيد رضا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا ﴾ حيث يرى فيه إشارة إلى أنه " ليس من شأن المرأة الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات؛ ولذلك تكون ذاكرتها ضعيفة فيما يتعلق بهذه الأمور، لكنها لا تكون كذلك في الأمور المنزلية التي هي شغلها، حيث نجدها أقوى ذاكرة من الرجل؛ لأن من طبع البشر ذكورا وإناثا أن يقوي تذكرهم لما يهمهم من أمور وهذا حكم عام، ولكل قاعدة شواذ" (رشيد رضا، د.ت، ج٢، ص ٢٤١).

وقد تحدث ابن القيم عن هذا الموضوع فقال في ما يتعلق بالجزء الخاص بشهادة المرأة وأنها على النصف من شهادة الرجل، بأن ذلك يكون فيما فيه الضلال في العادة وهو النسيان وعدم الضبط كما ورد في الآية، أما ما كان من الشهادات لا يخاف فيه الضلال في العادة، لم تكن فيه على نصف الرجل؛ فتقبل شهادتهن متفردات فيما تراه بعينها أو تسمعه بأذنها من غير توقف على عقل كالولادة والإرضاع والحيض والعيوب التي تحت الثياب. فمثل هذا لا ينسى في العادة ولا تحتاج معرفته إلى كمال عقل. (ابن القيم، د.ت، ص ٢٠٣).

ومن ذلك ندرك أن اشتراط المرأتين بدل الواحد من الرجال هو بقصد الاطمئنان إلى الحق تماما، فلأن المرأة بفطرتها لا تهتم ببعض الأمور، كانت شهادتها فيها على النصف، أما الأمور التي لا يطلع عليها غيرها؛ فإنه يكتفي فيها بشهادتها. ولو كان في الأمر أي احتقار للمرأة لما قبلت شهادتها على الإطلاق، أو لكانت شهادتها دوما على النصف من الرجل. فالسبب هو من أجل التثبت قبل إصدار الأحكام.

* * *